الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العلي و البحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة

بجاية

العنوان:

المجاز و علاقته بالإعجاز القرآني

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

شـــعبة: لغة و أدب عربي تخصص:علوم اللسان

إعداد الطالبين: إشراف الأستاذ:

عبدلي علي أرزقي شمون

أوقرقوز كريمة

2015-2014

الإهداء

بدأنا بأكثر من يد و قاسينا أكثر من هم و عانينا الكثير من الصعوبات وها نحن اليوم و الحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام و خلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.

إلى منارة العلم والإمام المصطفى إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق رسولنا الكريم إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء.

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة .

إلى من سعى وشقى لإنعم بالراحة و الهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي عملني ان ارتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى والدي رحمه الله.

إلى من ملئوا حياتي بهجة و سرورا زوجي و ابنتي.

إلى من حبهم يجري في عروقي و يلهج بذكراهم فؤادي إلى إخوتي و أخواتي

إلى من سرنا سويا و نحن نشق الطريق معا نحو النجاح و الإبداع إلى من تكاتفنا يد بيد إلى أصدقائي.

إلى من علمونا حروفا من ذهب و كلمات من درر و عبارات من أسمى عبارات في العلم إلى من صاغو لنا علمهم حروفا و من فكرهم منارة تنير لنا درب العلم و النجاح غلى أساتذتنا الكرام.

كريمة

الإهداء

يا من أحمل اسمك بكل فخر

أهديك هذا البحث أبي

إلى حكمتي .....وعلمي

إلى أدبي .....وحلمي

إلى طريقي .... المستقيم

إلى طريق..... الهداية

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل

إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله أمي الغالية

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله

إلى من آثروني على نفسهم

إلى من علموني علم الحياة

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إخوتي

إلى من كانوا ملاذي وملجئي

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات

إلى من جعلهم الله أخوتي بالله ..... و من أحببتهم بالله

إلى من يجمع بين سعادتي وحزني

إلى من أتمنى أن تبقى صورهم .....في عيوني

أصدقائي

صوفيا،صارة ،مريم،أنييس،فطيمة،كاتيا،لونيس،سعيد فيصل،كسيلة ،حليم

و إلى كل من أنساني الشيطان ذكرهم

إلى كل من ساهم في إنارة دربى العلمي أساتذتي

وأخص بالذكر مشرفي وموجهي القدير أرزقي شمون علي

الفهرس

الفهرس 2.1
مقدمة 3
الفصل الأول:الإعجاز القرآني 7
1 نبذة عن أهم الدراسات السابقة في قضية الإعجاز القرآني 8
2 تعريفات عامة : ((وجوه – الإعجاز – اللغوي – في القرآن الكريم)) 13
3 مقارنة بين القرآن الكريم وكلام المخلوقين 19
أولا القرآن والشعر 19
ثانيا القرآن و النثر 22
الفصل الثاني:وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم 22
الوجه الأول من الإعجاز اللغوي :الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهدها العرب 22
الوجه الثاني من الإعجاز اللغوي : خلوه من العيوب اللغوية الوجه الرابع من الإعجاز اللغوي :عدم الاختلاف والتناقض 23
الوجه الثالث من الإعجاز اللغوي : إشتماله علي المعاني الدقيقة 25
الوجه الرابع من الإعجاز اللغوي :عدم الاختلاف والتناقض 27
الوجه الخامس من الإعجاز اللغوي :الجمع بين الجزالة والعذوبة 28
الوجه السادس من الإعجاز اللغوي : عدوله عن التكرار 29
الوجه السابع من الإعجاز اللغوي : قصد في اللفظ مع وفاء المعنى 33
الوجه الثامن من الإعجاز اللغوي: جمعه بين الإجمال والبيان 35
الوجه التاسع من الإعجاز اللغوي: ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومبين لأساليبهم 39
الوجه العاشر من الإعجاز اللغوي : إيراد المعني الواحد بطرق مختلفة 43
الوجه الحادي عشر من الإعجاز اللغوي: براعته في تصريف القول 47
الوجه الثاني عشر من الإعجاز اللغوي: تأثيره في سامعيه (الإعجاز النفسي) 53
الوجه الثالث عشر من الإعجاز اللغوي: جمعه لعلوم لغوية بصورة معجزة إختص بها 57
الوجه الرابع عشر من الإعجاز اللغوي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة 58
الوجه الخامس عشر من الإعجاز اللغوي: حفظه من التحريف 59
الوجه السادس عشر من الإعجاز اللغوي: اللفظ و المعني كأنهما روحان يمتزجان لا يطغي احدهما علي الآخر 62
الوجه السابع عشر من الإعجاز اللغوي : نزوله علي سبعة أحرف 63

الوجه الثامن عشر من الإعجاز اللغوي: إرضاؤه للعقل والعاطفة 64
الوجه التسع عشر من الإعجاز اللغوي : إرضاؤه للعامة والخاصة 65
الوجه العشرون من الإعجاز اللغوي: عجز الرسول صلي الله عليه وسلم عن الإتيان ببدل له 66
الوجه الواحد و العشرون من الإعجاز اللغوي : الإعجاز الصوتي في القرآن الكري 66
أوجه أخرى في القرآن الكريم 70
الفصل الثاني:المجاز اللغوي.....83
1 علم البلاغة..... 84
2 علم البيان 86
1.2 التشبيـه في القرآن الكريم 92
2.2 المجاز في القرآن الكريم 97
3.2 الاستعارة في القرآن الكريم 102
4.2 الكناية في القرآن الكريم 106
الخاتمـــــة 114
قائمة المراجع..... 115 .121

مقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [1]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [2]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [3] أما بعد :

لم ينل كتاب في الدنيا من البحث والتأمل مثلما نال القرآن الكريم ، إلا أن القرآن الكريم لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [4]

وكل باحث . حسبما يتيسر له من أدوات بحثه . يكشف الله له جانباً من أسرار الكتاب , وا تنفذ الأسرار: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [5] , جاء هذا البحث مختصرا , مع تطلعي للمزيد من البحث في القرآن الكريم الذي لا تنبض ينابيعه .

و كان هذا البحث المتواضع حبا في كلام الله سبحانه وتعالي , فأدعو الله الكريم المنان أن يجعله ميسرا مقبولا , وصلي الله علي محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

لماذا الإعجاز اللغوي:

في قوانين البشر حين تتحدي إنسانا تأتي من خلال دراسة نقاط ضعفه , حتى الحرب (الْحَرْبُ خُدْعَةٌ) [6].

أما الله سبحانه وتعالي أتي البشر من المواطن التي ظنوا قوتهم فيها , علي سبيل المثال . معجزة عيسي عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتي , في قوم إشتهروا بالبراعة في الطب , و معجزة

---

[1] آل عمران : 122 .

[2] النساء : 1 .

[3] الأحزاب 70،71 .

[4] الكهف 109 .

[5] الإسراء 20 .

[6] رواه البخاري (029) ومسلم (58) .

إبراهيم عليه السلام بإبطال السبب المادي الذي إعتمدوا عليه ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [7].

ب – وكذلك أتي الله سبحانه و تعالي معجزة القرآن الكريم لمحمد صلي الله عليه وسلم , في قوم كانت الفصاحة براعتهم وتنافسهم , حتي أنهم علقوا علي الكعبة المشرفة ما يسمي (بالمعلقات السبع) تكريما لأفضل الشعراء.

فتحداهم الله عز وجل قائلا ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [8].

ج – الله عز وجل أحكم الحاكمين لا يأتي بالشيء إلا في موعده المناسب بحكمته , والتدرج سنته سبحانه وتعالي , وقد جاء القرآن الكريم بختام الرسالات السماوية للبشر وجاء كذلك ختاما للمعجزات السماوية علي يد الأنبياء , فحق أن تأتي المعجزة عقلية سامية حتي تتلمسها الأجيال , وحفظها الله من التحريف والتبديل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [9] , وذلك من تمام المعجزة وخلودها .

د – جاء القرآن الكريم مرتبطا بحياة الأفراد وجامعا لشتي العلوم من عقائد وعبادات وأخلاق وسياسة وجغرافيا وتاريخ ... إلخ , وجاء شافيا لأمراض القلوب من حيرة وقلق ونصب علي الدنيا , وداعيا لجنة عرضها السماوات والأرض ﴿ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [10].

هـ – ولذلك نجد المجتمع الغربي علي ما هو عليه من الترف إلا أنه يعاني من الحيرة و القلق , وذلك لبعدهم عن منهج الله تبارك وتعالي ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[11].

وعلي سبيل المثال نجد أعلي نسبة أمراض نفسية وعقلية توجد في المجتمعات الغربية , أما عن الجرائم و الإنتحار فحدث ولا حرج .

---

[7] الأنبياء (69) .

[8] البقرة 23

[9] الحجر 9

[10] المائدة 15 , 16

[11] سورة طه 124

ن – الختام لابد أن يأتي بالخير من قبل أهل الخير , ولله المثل الأعلي , فكان ختام الرسالات السماوية بخير رسالة وأسمح شريعة وأيسرها وأعظمها سموا , ورسولها صلي الله عليه وسلم أعظم الرسل , وكتابهم (القرآن الكريم) خير الكتب ومهيمنا علي ما قبله من الكتب ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [12].

ل – للرسول صلي الله عليه وسلم معجزات حسية مثل تسبيح الحصا وانشقاق القمر , لكن أعظم معجزاته القرآن الكريم, قال صلي الله عليه وسلم :- (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [13]

أهمية الموضوع وأسباب إختياره :

أجمل بيان أهمية الموضوع و أسباب إختياري له في الآتي :

ا – إنه أول ما وقع في نفس العرب الخلص , منذ بدء الوحي ب ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ , فكان هذا الإعجاز اللغوى أول ما ظهر للإنس والجن , وأحدث صدمة نفسية لكل مستمع , فأعجزهم , وصدق الله العظيم ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [14]

2– التأمل والبحث في كتابه الكريم , قال الباقلانى رحمه الله (ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ، ما كان لأصل دينهم قواما ، ولقاعدة وحيدهم عماداً ونظاماً ، وعلى صدق نبيهم صلي الله عليه وسلم برهانا ، ولمعجزته ثبتا وحجة ، لا سيما والجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ، مستول على الآفاق ، والعلم إلى عفاء ودروس) [15]

3– ارتباط مسألة الإعجاز بتفسير القرآن الكريم , وأذكر علي سبيل المثال قول أبي بكر إبن العربي [16] – رحمه الله – (ثم إن العناية بما نحن بصدده من بيان وجوه إعجاز القرآن إنما نبعت من مختزن أصل

---

[12] المائدة 48

[13] البخاري 74/72

[14] الإسراء 88

[15] إعجاز القرآن للباقلاني 22

[16] من فقهاء المالكية

كبير من أصول الإسلام ، وهو كونه المعجزة الكبرى للنبي صلي الله عليه وسلم ، وكونه المعجزة الباقية).

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين أساسيين الأول و هو فصل تاريخي نظري تناولنا فيه نبذة عن أهم الدراسات السابقة في قضية الإعجاز القرآني, كم أحطنا بالمصطلحات الأساسية بعنوان تعريفات عامة : ((وجوه – الإعجاز – اللغوي – في القرآن الكريم))، ضف الى ذلك مقارنة بين القرآن الكريم وكلام المخلوقين تضمن مقارنة بين: القرآن والشعر,القرآن و النثر.

و في سياق الإعجاز فتطرقنا فيه إلى إبراز إهم وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم تضمن أربعة و عشرون وجهاً.

أما الفصل الثاني فهو فصل تحليلي و يبرز هذا الفصل وقوع المجاز في القرآن الكريم مبرزا القية البلاغية المضافة لسيرورة البلاغة العربية وذلك من خلال مباحثه التطبيقية.

وكانت مصادر و مراجع هذا البحث تلم بالقديم,الأصيل عند القدامى و الجديد عند المحدثين ,فكانت كتب البلاغة و اللغة وعلم القرآن رافدا و منهلا للإستسقاء بالمعلومات.

والتالي تفصيل و إجمال في الفصول السالفة الذكر.

الفصل الأول:الإعجاز القرآني

1- الفصل الأول:الإعجاز القرآني

نبذة عن أهم الدراسات السابقة في قضية الإعجاز القرآني:

* ذكر الباقلاني رحمه الله , أن أول من تناول قضية الإعجاز اللغوي هو الجاحظ [17], في القرن الثالث الهجرى , فصنف كتابا سماه: (نظم القرآن) و الكتاب غير موجود .

قال: (وقد صنف الجاحظ في "نظم القرآن" كتابا لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله) [18].

و مع الإقرار بغزارة علمه اللغوي إلا أننا لا نعطي رأيه شيئا [19] , لأنه مضطرب الرأي فاسد العقيدة و وذكر البعض أنه لم يسلم من القول بالصرفة ولمح بها , ولا يستبعد هذا منه .

* وفي أواخر القرن الثالث الهجرى وضع أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطى (توفي سنة 306هـ) كتابا سماه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) وذكر البعض , أنه أول من صنف في الإعجاز اللغوى.

* في القرن الرابع الهجرى، وفيه ألف أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (ت سنة 386هـ)

صنف (النكت في إعجاز القرآن) , ذكر فيه رأيه في وجوه سبع (ت رك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصرفة ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقص العادة، وقياسة بكل معجزة).

* وفي القرن الرابع أيضا ألف حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى (ت سنة 388هـ)

(بيان إعجاز القرآن) وبين أن الناس قد أكثروا الكلام في باب إعجاز القرآن قديما وحديثا، وذهبوا فيه كل مذهب، ولم يصدروا عن رأي ، وأبطل القول بالصرفة , ثم تحدث عن البلاغة , وتأثير القرآن في سامعيه .

* القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت سنة403هـ)

صنف (إعجاز القرآن) وهو أفضل مرجع في هذا الفن علي الإطلاق , ذكر فيه من وجوه الإعجاز الإخبار عن الغيوب المستقبلية، وقصص الأولين، وبديع نظم القرآن، وعجيب تأليفه، وما فيه من الشريعة والأحكام التى يتعذر على البشر مثلها , ثم شرح تلك الأقوال .

* القاضي عبد الجبار أحمد بن خليل بن عبد الله (ت سنة415هـ).

في أوائل القرن الخامس الهجرى , أفرد من كتابه "المغنى في أبواب التوحيد والعدل" البالغ عشرين جزءاً , الجزء السادس عشر في الحديث عن إعجاز القرآن .

---

[17] الجاحظ من كبار المعتزلة

[18] إعجاز القرآن للباقلاني ص 24

[19] قدرا أو مكانة

* إ بن حزم الظاهرى (ت سنة 456هـ).

صنف (الفصل في الملل والأهواء والنحل) تحدث – في الفصل السادس – عن عدد من وجوه الإعجاز , وذكر كثير من الباحثين أنه ممن قال بالصرفة .

* في القرن الخامس صنف أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى (ت سنة 471هـ).

* صنف أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أيضا (الرسالة الشافية في إعجاز القرآن) بين فيها موقف العرب المعاصرين لنزول القرآن من أمثال الوليد بن المغيرة، وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن أقروا راغمين أن القرآن ليس من كلام البشر.

* وفي القرن السادس خصص القاضي عياض (ت سنة 544هـ) فصلا في الجزء الأول من كتابه : (الشفاء) بتعريف إعجاز القرآن قال فيه (كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة ،حصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه : أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب)[20].

ثم عرض بقية وجوه الإعجاز فعّد منها: صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب، وما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما أنبأ به من أخبار القرون السابقة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة .

ثم عرض بعد ذلك لوجوه أخرى إجمالا فقال (أن قارئه لايمله، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبه، ولايزال غضا طريا، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد، ويُعادى إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته في الأزمات).

* فخر الدين الرازي (توفي سنة 604هـ) صنف (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز).

* أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى (ت سنة626هـ (كتابه (مفتاح العلوم) وبين أن الإعجاز لا يدرك إلا بالتذوق.

* في القرن السابع صنف أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت سنة671هـ)

فصلا في مقدمة تفسيره : (الجامع لأحكام القرآن) ذكر فيه نكتا في إعجاز القرآن ووجوه ذلك الإعجاز عدّد فيها تلك الوجوه، وجعلها في عشرة: النظم البديع، والأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب، والجزالة التى لا تصح من مخلوق بحال، والتصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربى، والإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أمى ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، والإخبار عن المغيبات في المستقبل إلى آخر ما عده من ذلك.

* في القرن السابع أيضاً عند ابن العربي الآمدي ، علي بن أبي علي (ت 631هـ).

* وحازم القرطاجني (ت 684هـ)، ثم البيضاوي (تفسير البيضاوي).

---

[20] الشفاء :217/1

* صنف الزركشى (سنة 794هـ) (البرهان في علوم القرآن)

قال فيه (وإعجاز القرآن ذكر من وجهين:أحدهما إعجاز متعلق بنفسه، والثانى بصرف الناس عن معارضته)[21].

ثم رد القول بالصرفة ثم بين وجوها للإعجاز.

* الزملكاني (ت 727هـ .) في كتابه: "التبيان في إعجاز القرآن".

* وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) في كتابه: "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن".

* والخطيب الذي لخص كتاب: "مفتاح العلوم" للسكاكي

* يحيى بن حمزة العلوي صاحب كتاب: "الطراز" (ت 749هـ).

* وابن القيم (ت751هـ) صاحب كتاب "الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان"، الذي يتناول فيه بإسهاب قضية الإعجاز القرآني وما سبقه من آراء فيها.

* كما نجد إشارات للإعجاز في تفسير إبن كثير (ت 774هـ).

* في القرن التاسع برهان الدين بن عمر البقاعى(ت سنة 885هـ).

صنف كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) جمع فيه من أسرار القرآن، وأتقن الكلام في فن المناسبات بين الآيات والسور.

* في القرن العاشر صنف جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت سنة 911هـ)

صنف (الإتقان في علوم القرآن) نقل كثيرا من أقوال السادة العلماء في وجوه الإعجاز وردّ القول بالصرفة.

* في القرن الثالث عشر ألف شهاب الدين الآلوسى(ت سنة 1270هـ) (روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) وعلى عادة كثير من المفسرين قدم بمقدمات قيمة ضمنها فوائد جليلة، جعل الفائدة السابعة منها في بيان وجه إعجاز القرآن، تكلم فيها على أوجه الإعجاز عند كثير من العلماء، ورد القول بالصرفة , وقال (وقد أطال العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن، وأتوا بوجوه شتى الكثير منها خواصه وفضائله، مثل الروعة التى تلحق قلوب سامعيه، وأنه لا يمله تاليه، بل يزداد حباً له بالترديد، مع أن الكلام يعادى إذا أعيد. وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه، والذى يخطر بقلب هذا الفقير: أن القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنظر إلى نظمه وبلاغته، وإخباره عن الغيب، وموافقته لقضية العقل، ودقيق المعنى، وقد تظهر كلها في آية، وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب، ولا ضير ولا عيب، فما يبقى كافٍ، وفي الغرض وافٍ) [22].

---

[21] البرهان في علوم القرآن:101/2 وما بعدها.

[22] روح المعاني ج 1 ص 31.

* في القرن الرابع عشر صنف مصطفي صادق الرافعى (ت سنة 1356 هـ).
صنف (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) بين فيه حقيقة الإعجاز و أهم المصنفات فيه و ورد القول بالصرفة و وشنع علي القائلين بها .
* محمد عبد العظيم الزرقانى (مناهل العرفان في علوم القرآن).
* محمد عبد الله دراز (النبأ العظيم).
* بديع الزمان النورسى (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) من (كليات رسائل النور).
* محمد أبو زهرة في (المعجزة الكبرى).
* سيد قطب : التصوير الفني في القرآن , وبعض التعليقات في كتابه (في ظلال القرآن).
* عائشة عبد الرحمن (الإعجاز البيانى للقرآن).
* محمد متولي الشعراوي (معجزة القرآن) , وأقواله في الإعجاز اللغوي والعلمي نجدها متناثرة في تفسيره , ومقالاته المختلفة , وهي من أشهر ما كتب في هذا العصر .

❖ و شهد شاهد من أهلها , قصة إسلام جاري ميلر صاحب كتاب (القرآن المذهل) [23]

عام 1977 قرر الدكتور جاري ميلر المبشر الكندي النشيط وأستاذ الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو أن يقدم خدمة جليلة للمسيحية بالكشف عن الأخطاء العلمية والتاريخية في القرآن الكريم، بما يفيده وزملاؤه المبشرين عند دعوة المسلمين للمسيحية ولكن الرجل الذي دخل بمنطق تصيد الأخطاء وفضحها، غلب عليه الإنصاف.

وكان أول ما أذهله: هو صيغة التحدي التي برزت له من في مواضع كثيرة من مثل ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾[24].

، ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[25]، 'عشر آيات'، 'آية'، دخل الرجل الحلبة متحدياً وخرج منها منبهراً بما وجده.

بعض ما جاء في كتابه: 'القرآن المذهل':

1- يقول د. ميلر: 'لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتاباً ثم يقول هذا الكتاب خال من الأخطاء ولكن القرآن على العكس تماماً يقول لك لا يوجد أخطاء بل يتحداك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد'.

---

[23] نقلا عن The Amazing Quran , By: Dr. Gary Miller ,

[24] النساء 82

[25] البقرة 23

2- لا يستعرض القرآن أيضاً من الأحداث العصيبة التي مرت بالنبي – صلى الله عليه وسلم – مثل وفاة زوجته خديجة أو وفاة بناته وأولاده. بل الأغرب أن الآيات التي نزلت تعقيباً على بعض النكسات في طريق الدعوة، كانت تبشر بالنصر، وتلك التي نزلت تعقيباً على الانتصارات كانت تدعو إلى عدم الاغترار والمزيد من التضحيات والعطاء. لو كان أحد يؤرخ لسيرته لعظم من شأن الانتصارات، وبرر الهزائم، ولكن القرآن فعل العكس تماماً، لأنه لا يؤرخ لفترة تاريخية بقدر ما يضع القواعد العامة للعلاقة مع الله والآخرين.

3- توقف ميلر عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [26] ، مشيراً إلى التجربة التي أجراها أحد الباحثين في جامعة تورنتو عن 'فعالية المناقشة الجماعية'، وفيها جمع أعداداً مختلفة من المناقشين، وقارن النتائج فاكتشف أن أقصى فعالية للنقاش تكون عندما يكون عدد المتحاورين اثنين، وأن الفعالية تقل إذا زاد هذا العدد.

4- هناك سورة كاملة في القرآن تسمى سورة مريم وفيها تشريف لمريم عليها السلام بما لا مثيل له في الكتاب المقدس، بينما لا توجد سورة باسم عائشة أو فاطمة. وكذلك فإن عيسى عليه السلام ذُكر بالاسم 25 مرة في القرآن في حين أن النبي محمد لم يذكر إلا 5 مرات فقط.

5- يرى المنكرون للوحي وللرسالة أن الشياطين هي التي كانت تملي على الرسول ما جاء به، والقرآن يتحدى: 'وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون'. فهل تؤلف الشياطين كتاباً ثم تقول لا أستطيع أن أؤلفه، بل تقول: إذا قرأت هذا الكتاب فتعوذ مني؟

6- لو كنت في موقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو وأبي بكر محاصرين في الغار، بحيث لو نظر أحد المشركين تحت قدميه لرآهما. ألن يكون الرد الطبيعي على خوف أبي بكر: هو من مثل 'دعنا نبحث عن باب خلفي'، أو 'أصمت تماماً كي لا يسمعك أحد'، ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال بهدوء: 'لا تحزن إن الله معنا'، 'الله معنا ولن يضيعنا'. هل هذه عقلية كذاب أو مخادع، أم عقلية نبي ورسول يثق بعناية الله له؟

7- نزلت سورة المسد قبل وفاة أبي لهب بعشر سنوات. وكان أمامه 365 × 10 = 3650 فرصة لإثبات أن هذا الكتاب وهم، ولكن ما هذا التحدي؟ لم يسلم أبو لهب ولو بالتظاهر، وظلت الآيات تتلى حتى اليوم. كيف يكون الرسول واثقاً خلال عشر سنوات أن ما لديه حق، لو لم يكن يعلم أنه وحي من الله؟

8- وتعليقاً على قوله تعالى 'ما كنت تعلمها أنت ولا قومك' تعقيباً على بعض القصص القرآني، يقول ميلر: 'لا يوجد كتاب من الكتب الدينية المقدسة يتكلم بهذا الأسلوب، إنه يمد القارئ بالمعلومة ثم يقول له

[26] – سورة الأعراف 184

هذه معلومة جديدة!! هذا تحد لا مثيل له؟ ماذا لو كذبه أهل مكة – ولو بالادعاء – فقالو: كذبت كنا نعرف هذا من قبل. ماذا لو كذبه أحد من الباحثين بعد ذلك مدعياً أن هذه المعلومات كانت معروفة من قبل؟ ولكن كل ذلك لم يحدث.

وأخيراً يشير د. ميلر إلى ما ورد في الموسوعة الكاثوليكية الجديدة تحت موضوع 'القرآن'، وكيف أنها ورغم تعدد الدراسات والمحاولات للغمز في صدق الوحي القرآني، (مثل أنه خيالات مريض أو نفث شياطين، أو كان يعلمه بشر، أو أنه وقع على كتاب قديم، ... الخ)، إلا أنها انتهت إلى: 'عبر القرون ظهرت نظريات كثيرة حول مصدر القرآن إلا أن أيّ من هذه النظريات لا يمكن أن يعتد به من رجل عاقل'. ويقول د. ميلر إن الكنيسة التي كان بودها أن تتبنى إحدى هذه النظريات التي تنفي صدق الوحي لم يسعها إلا أن ترفض كل هذه النظريات، ولكنها لم تملك الجراءة على الاعتراف بصدق نظرية المسلمين.

2 تعريفات عامة :

((وجوه – الإعجاز – اللغوي – في القرآن الكريم))

1- وجوه :

- وجه : الوجه ما يواجهك من الرأس , وفيه العينان و الفم والأنف , سيد القوم وشريفهم .

ونفس الشيء وذاته , في القرآن الكريم ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [27] , و من الثوب : ما ظهر لك , ومن البيت : الجانب الذي يكون فيه بابه , ومن الجهة الناحية , وصحة الحكم .

يقال : ليس لكلامه وجه .

ومن الكلام ما تقصده به , يقال رجل ذو وجهين : يلقي هذا بوجه وذاك بوجه .

جمعه : أوجه , ووجوه .

الوجهة : الجانب والناحية , ووجهة الأمر ك وجهه [28].

والذي نستخلصه من هذا أن وجوه الإعجاز , تعني : جوانب الإعجاز .

2- تعريف المعجزة :

الفعل الثلاثي: عجز، يعجز فهو عاجز، ومصدر الفعل هو: العجز.

الفعل الرباعي: فهو أعجز، يعجز فهو معجز ومصدر الفعل هو الإعجاز.

المعجزة إذاً: هو اسم الفاعل المؤنث من فعل ذلك الفعل.

---

[27] الرحمن 27 .

[28] المعجم الوجيز , مجمع اللغة العربية , طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم بمصر , 1994 م , ص 661 , 662 .

والمعجزة في الاصطلاح: "هي الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة يظهره الله تعالى على يد النبي، تصديقاً له في دعوى النبوة". [29]

ويشترط في المعجزة [30] :

1 – أن تكون فعلاً من الأفعال المخالفة لما تعوَّد عليه الناس وألفوه.

2 – أن يظهره الله تعالى على يد من يدّعي النبوة.

3 – أن يكون الغرض من ظهور هذا الفعل الخارق هو تحدي المنكرين، سواء صرح النبي صاحب المعجزة بالتحدي أو كان التحدي مفهوماً من قرائن الأحوال.

4 – أن تجيء المعجزة موافقة ومصدقة لدعوى النبوة، فإذا حدثت المعجزة وكذبت النبي في دعواه فلا يكون النبي صادقاً، كما لو نطق الجماد مثلاً بتكذيب صاحب المعجزة.

5 – أن يعجز المنكرون عن الإتيان بمعجزة مماثلة لمعجزة النبي، أي يعجزون عن معارضته.

3 تعريف الإعجاز:

ا – الإعجاز لغة :

مصدر، وفعله رباعي هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز [31]

وكلام أهل اللغة في معناها يدور حول الضعف، وعدم القدرة على النهوض بالأمر، وكذلك القعود عما يجب فعله.

قال ابن منظور : (العجز: نقيض الحزم, والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها : مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث– كل شيء بقدر حتى العجز والكيس– وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف) [32] .

ومقتضى آخر الكلام فيما ساقه صاحب اللسان أن العجز أعم من أن يكون ضعفا وانعدام قدرة ،وإنما يمكن أن يعني ترك الأمر تسويفا، مما يفهم منه أن ما ترك في حيز القدرة عليه، لكن الباعث على تركه هو الكسل الحامل على التأجيل والتسويف.

لكن لنا في أصالة معنى العجز في الدلالة على عدم القدرة، وأن ترك الفعل عجزاً إنما يكون لعدم القدرة عليه في الأصل [33]، في ذلك حديث رسول صلي الله عليه وسلم : ﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ﴾ [34].

---

[29] شرح الجلال على العقائد العضدية، 276/2 .

[30] بحوث في الثقافة الإسلامية ، تأليف عدد من أساتذة جامعة قطر، ص 275 .

[31] انظر: المصباح المنير، ص 149 .

[32] لسان العرب: مادة (عجز)

[33] نقلا عن عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم , د . محمد السيد راضي جبريل

قال ابن حجر رحمه الله تعالي[35]:(إن الهم :لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط)

فالجمع في الحديث بين الاستعاذة من كل من العجز والكسل فيه دلالة على تغاير المعنى فيهما، فالأول عدم القدرة والثاني عدم النشاط والنهوض للأمر.

ب – وعليه فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له،فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني ،وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك (وقال الليث:أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه) [36]

إذا كان هذا معنى الإعجاز، فبإضافته إلى القرآن، ومنهما يكون مصطلح: (إعجاز القرآن) كما سبق بيانه يكون المراد: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن، وهم الإنس والجن، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي.

ج – ويكتمل بيان المراد بهذا المصطلح [37]إذا عرفنا أن إعجاز القرآن مَن تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب حق، ووحي من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

د – والإعجاز في الاصطلاح: له عدة تعريفات:

– منها تعريف الجرجاني في كتابه (التعريفات) : "أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق " [38] .

وقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "وإنما الإعجاز شيئان:

1 – ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

2 – ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت" [39].

---

[34] صحيح البخاري , 69/63 , 25/54.

[35] في شرح الحديث في فتح الباري , باب الاستعاذة من الجبن والكسل .

[36] لسان العرب مادة عجز.

[37] نقلا عن عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم , د . محمد السيد راضي جبريل .

[38] البيان في إعجاز القرآن : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص 23–31.

[39] إعجاز القرآن : الرافعي ، ص 139.

4 معنى كلمة القرآن :

ا – التعريف اللغوي :

قال السيوطي رحمه الله [40] وأما القرآن فاختلف فيه فقال جماعة :

هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو مروى عن الشافعي.

أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز قراءة ولا يهمز القرآن و يقول: القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قراءة ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل.

وقال قوم منه الأشعري: هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء: إذا ضممت أحدهما إلى الآخر وسمى به القرآن السور والآيات والحروف فيه.

وقال الفراء: هو مشتق من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن وعلى القولين بلا همز أيضاً ونونه أصلية.

وقال الزجاج: هذا القول سهو والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها. واختلف القائلون بأنه مهموز فقال قول منهم اللحياني: هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران سمى به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض: أي جمعته. قال أبو عبيدة: وسمى بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض.

وقال الراغب: لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن.

قال: وإنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة.

وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها.

وحكى قطرب قولاً : إنه سمى قرآناً لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب ما قرأت الناقة سلاقط : أي ما رمت بولد: أي ما أسقطت ولداً: أي ما حملت قط والقرآن يلقطه القارئ من فيه ويلقيه فسمي قرآناً. قلت: والمختار عندي في هذه المسئلة ما نص عليه الشافعي.

ب – تعريف القرآن في الشرع [41] : هو كلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق ، المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية المعجزة المؤيدة له ، المتحدى به العرب المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر .

قال عز وجل : "(يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) [42]

---

[40] – الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 153 , 154 . ط المكتبة التوفيقية .

[41] تجد هذا التعريف بأساليب مختلفة في كتب علوم القرآن الكريم , راجع الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي , مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني الجزء الأول الطبع دار المعارف .

5 اللغة : [43]

أ تعريف اللغة

1. يُعرفها ابن جني بقوله: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

2. اللغة نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية يتم بواسطتها التعارف بين أفراد المجتمع، تخضع هذه الأصوات للوصف من حيث المخارج أوالحركات التي يقوم بها جهاز النطق، ومن حيث الصفات والظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الظواهر النطقية

3. ظاهرة اجتماعية تستخدم لتحقيق التفاهم بين الناس .

4. صورة من صور التخاطب سواء كان لفظيًا وغير لفظي .

5. اللغة كما يقول (أوتويسبرسن): نشاط إنساني يتمثل من جانب في مجهود عضلي يقوم به فرد من الأفراد ، ومن جانب آخر عملية ادراكية ينفعل بها فرد وأفراد آخرون.

6. اللغة نظام الأصوات المنطوقة.

7. اللغة معنى موضوع في صوت ونظام من الرموز الصوتية

8. ادوارد سابير: اللغة وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقا، لتوصيل الأفكار والأفعال والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية

9. انطوان ماييه: إن كلمة (اللغة) تعني كل جهاز كامل من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة في مجموعة بعينها من بني الإنسان بصرف النظر عن الكثرة العددية لهذه المجموعة البشرية وقيمتها من الناحية الحضارية.

10 . اللغة نشاط مكتسب تتم بواسطته تبادل الأفكار والعواطف بين شخصين وبين أفراد جماعة معينة، وهذا النشاط عبارة عن أصوات تستخدم وتستعمل وفق نظم معينة .

واللغة نعمة من الله –عزّ وجل– للإنسان مثله مثل كل الحيوانات التي تمتلك نظامًا من الرموز والإشارات للتفاهم فيما بينها. فيقال: لغة الحيوان، ولغة الطير، ولغة النبات، قال تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ [44] ولكن لغة الإنسان تتميز بأنها ذات نظام مفتوح بينما الحيوانات الأخرى نظامها التعارفي نظام مغلق.

---

[42] الفتح 15

[43] نقلا عن اللغة العربية التحديات والمواجهة , للأستاذ/ سالم مبارك الفلق , ص 2 , 3

[44] النمل:16

ب وظائف اللغة [45] :

(أهمية هذا المبحث في دلالة إحتواء اللغة العربية وحدها لمعجزة القرآن الكريم)

يتفق أغلبية علماء اللغة المحدثين على أنَّ وظيفة اللغة هي: التعبير والتواصل والتفاهم رغم أنَّ بعضهم يرفض تقييد وظيفة اللغة بالتعبير والتواصل؛ فالتواصل إحدى وظائفها إلا أنَّه ليس الوظيفة الرئيسة .

«وقد حاول "هاليداي" halliday تقديم حصر بأهم وظائف اللغة فتمخضت محاولاته عن الوظائف الآتية:

1) الوظيفة النفعية (الوسيلية):

وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد" فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يُشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم.

2) الوظيفة التنظيمية :

وهي تعرف باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل كذا" فمن خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين، لتنفيذ المطالب والنهي، وكذا اللافتات التي نقرؤها، وما تحمل من توجيهات وإرشادات.

3) الوظيفة التفاعلية:

وهي وظيفة "أنا وأنت" حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أنَّ الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكاك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين .

4) الوظيفة الشخصية:

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤياه الفريدة، ومشاعره واتجاهاته نحوموضوعات كثيرة، وبالتالي يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين

5) الوظيفة الاستكشافية:

وهي التي تسمى الوظيفة "الاستفهامية" بمعنى: أنه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة .

6) الوظيفة التخيلية:

تتمثل فيما ينسجه من أشعار في قوالب لغوية، كما يستخدمها الإنسان للترويح، ولشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة، كما هوالحال في الأغاني والأهازيج الشعبية.

7) الوظيفة الإخبارية (الإعلامية):

باللغة يستطيع الفرد أن يتقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصًا بعد الثورة التكنولوجية الهائلة . ويمكن

---

[45] – نقلا عن اللغة العربية التحديات والمواجهة , للأستاذ/ سالم مبارك الفلق , ص 3 , 4

أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية، اقناعية ؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة والعدول على نمط سلوكي عير محبب .

8) الوظيفة الرمزية:

يرى البعض أنَّ ألفاظ اللغة تمثل رموزًا تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، وبالتالي فان اللغة تخدم كوظيفة رموزية

3 مقارنة بين القرآن الكريم وكلام المخلوقين :

أولا القرآن والشعر:

ا – تعريف الشعر:

عرفه قدامة ابن جعفر (337 ه) في كتابه (نقد الشعر)

هو : (قول موزون مقفّى يدل على معنى) [46]

ب – تنزيه القرآن الكريم عن الشعر :

أ– قال السيوطي رحمه الله [47] (قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل في صورة الحق والإفراط في الإطراء والمبالغة في الذم والإيذاء دون إظهار الحق وإثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه عنه ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية. [48]

ج– ما وجد في القرآن مما صورته صورة الموزون , مثل ما زعموا إن في القرآن شعراً مثل قوله عز وجل (وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيهِمْ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) [49]

زعموا أنه من الوافر كقول الشاعر:

لنا غنمٌ نُسَوِّقُها غِزار

فالجواب عنه أن ذلك لا يسمى شعرًا لأن شرط الشعر القصد ولو كان شعرًا لكان كل من اتفق له في كلامه شيء موزون شاعرًا فكان الناس كلهم شعراء لأنه قل أن يخلو كلام أحد عن ذلك وقد ورد ذلك على الفصحاء فلواعتقدوه شعرًا لبادروا إلى معارضته والطعن عليه لأنهم كانوا أحرص شيء عن ذلك وإنما يقع ذلك لبلوغ الغاية القصوى في الانسجام.

---

[46] الشعر الجاهلي. فؤاد افراد البستاني .. (سلسلة الروائع) ص : 69.

[47] الإتقان في علوم القرآن ج 4 ص 20 . ط المكتبة التوفيقية

[48] في الحديث عن الشعر

[49] التوبة 14

د – وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعرًا وأقل الشعر بيتان فصاعدًا.

ل – وقيل الرجز لا يسمى شعرًا أصلًا وقيل أقل ما يكون من الرجز شعرًا أربعة أبيات وليس ذلك في القرآن بحال

ط – الله تعالى نفى الشعر عن القرآن، وعن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ".

وقال في ذم الشعراء: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون، أَلَم تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ"، إلى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات.

وقال: "وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ".

ن – الكفار زعموا أن الرسول صلي الله عليه وسلم شاعر, لكنهم عجزوا عن إثبات ذلك فتراجعوا

ل – القرآن ليس من قبيل الشعر ولا توافرت فيه شروطه

ش – الشعر يتضمن غيره بخلاف القرآن

ق – مثال لبعض أخطاء أشعر الشعراء

قال الباقلاني رحمه الله [50] (عورات امرئ القيس في أروع شعره , فإذا شئت أن تعرف عظم شأنه، فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس، في أجود أشعاره، وما نبين لك من عواره على التفصيل وذلك قوله:

قفا نَبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بسِقطِ اللوى بن الدَّخول فحومل

لما نسجَتها من جَنوب وشَمأَل

وُضِحَ فالمِقْراة لم يعفُ رسمُها الذين يتعصبون له، أو يدعون محاسن الشعر، يقولون: هذا من البديع؛ لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى، وذكر العهد والمنزل والحبيب، وتوجع واسترجع، كله في بيت، ونحو ذلك.. وإنما بينا هذا، لئلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن إن كانت، ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة إن وجدت.

تأمل أرشدك الله، وانظر هداك الله: أنت تعلم أنه ليس في البيتين شيء قد سبق في ميدانه شاعراً، ولا تقدم به صانعاً.. وفي لفظه ومعناه خلل.

أول المآخذ في قوله قفا نبك من ذكرى حبيب

فأول ذلك: أنه استوقف من يبكي لذكرى الحبيب، وذكراه لا تقتضي بكاء الخلي، وإنما يصح طلب الإسعاد في مثل هذا، على أن يبكي لبكائه، ويرق لصديقه في شدة برحائه، فإما أن يبكي على حبيب صديقه، وعشيق رفيقه، فأمر محال.

---

[50] في الحديث عن الشعر

فإن كان المطلوب وقوفه وبكاءه أيضاً عاشقاً، صح الكلام وفد المعنى من وجه آخر، لأنه من السخف أن لا يغار على حبيبه، وأن يدعو غيره إلى التغازل عليه، والتواجد معه فيه.

تعداد الأماكن الكثيرة ليس ضروريا

ثم في البيتين ما لا يفيد من ذكر هذه المواضع، وتسمية هذه الأماكن، من: "الدخول" "وحومل"، "وتوضح"،

"والمقراة"، "وسقط اللوى"، وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا، وهذا التطويل إذا لم يفد كان ضرباً من العي. عفاء الرسم أدل على الوفاء للعهد

ثم إن قوله: "لم يعف رسمها"، ذكر الأصمعي من محاسنه أنه باق، فنحن نحزن على مشاهدته، فلو عفا لاسترحنا، وهذا بأن يكون قد مساويه أولى: لأنه إن كان صادق الودّ فلا يزيد عفاء الرسوم إلا جدة عهد، وشدة وجد، وإنما قرع له الأصمعي إلى إفادته هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه، فيقال: أي فائدة لأن يعرفنا أنه لم يعف رسم منازل حبيبه؟ وأي معنى لهذا الحشو؟ فذكر ما يمكن أن يذكر، ولكن لم يخلصه بانتصاره له من الخلل.

امرؤ القيس يكذب نفسه , ثم في هذه الكلمة خلل آخر، لأنه عقب البيت بأن قال: "فهل عند رسم دارس من معول؟"، فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه، كما قال زهير:

قف بالديار التي لم يعفُها القدمُ نعم وغيرها الأرواحُ والديمُ

في البيت تناقض , وقال غيره: "أراد بالبيت الأول أنه لم ينطمس أثره كله، وبالثاني أنه ذهب بعضه، حتى لا يتناقض الكلامان: وليس في هذا انتصار، لأن معنى "عفا ودرس"، فإذا قال لم يعف رسمها ثم قال: قد عفا فهو تناقض لا محالة، واعتذار أبي عبيدة أقرب لو صح، ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير، فهو إلى الخلل أقرب. تعسف لما قال لما نسجتها

وقوله: "لما نسجتها"، كان ينبغي أن يقول" لما نسجها ولكنه تعسف فجعل ما في تأويل التأنيث لأنها في معنى الريح، والأولى التذكير دون التأنيث، وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف.

كان الأولى أن يقول لم يعف رسمه)

ج القرآن الكريم يخلو من عيوب الشعر , وهي [51] :

1) الحشو : وهو أن يأتي في الكلام ألفاظ زائدة ليس فيها فائدة .

2) الفساد : وهو المجاوزة أو الملاءمة بين الكلمات .

3) التناقض : وهو أن يناقض الشاعر كلامه أو يعارض بعضه بعضا .

4) التهجين : وهو أن يصحب اللفظ لفظ آخر يزري به ويخفي في حسنه .

[51] – نقلا عن , كيف تبدع القصيدة : عبد اللطيف الوحيد

5) المعاظلة : وهي استعمال اللفظة في غير موضعها في المعنى او سوء النظم ورداءة التركيب .

6) الجهامة : وهي الكلمات القبيحه أو الثقيلة في السمع والمستهركة .

7) الفك : وهو انفصال الصدر عن العجز من حيث المعنى .

8) التكلف : وهو الإفتعال والتصنيع أو تعقيد العبارة بما يقضي بها الى الغموض .

9) التطويل : وهو زيادة الكلام بلا فائدة .

10) الإطناب : وهو زيادة الكلام لفائدة

11) الإيغال : وهو ان ينتعي المعنى الذي يريده الشاعر قبل القافية فيأتي لفظ القافية من قبيل الحشو أي مفيدا بفائدة زائدة عن المطلوب لأن ماقبلها قد كفى عنها .

ثانيا القرآن و النثر:

تعريف النثر : [52]

(هو خلاف الشعر، وهو شكل أدبي للكتابة قد يكون فيه سمات جمالية كالطباق والسجع وغيرها، وتعتبر معظم الأعمال الأدبية نثرا)

من الفروق العامة : –

1 – القرآن الكريم لم يأت بما علم من قواعد النثر و اساليبه المعهودة و وإذا قرأت آياته تجدها مختلفة كل الإختلاف عن النثر لأن النثر صنعة البشر و أما القرآن الكريم فهو كلام الله سبحانه وتعالي .

2 – لا نجد في القرآن الكريم الإلتزام المعهود بالسجع والطرق البلاغية المعهودة في النثر , بل نجد ألفاظه سلسة بها حلاوة وطلاوة , قوي المص وغيرها)

4 – للقرآن الكريم إسلوبه المميز المعجز في تصريف الكلام

5 – طريقة نهايات السور في القرآن الكريم تأتي بإعجاز وجمال ما بعده جمال , ولا نجد هذا في النثر و بل نجد فيه التكلف و التصنع , وغير ذلك مما يعرفه كل دارس للغة العرب

4 وجوه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

أولا وجوه تتصل بعلم البلاغة:

الوجه الأول من الإعجاز اللغوي :الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهدها العرب

[52] – راجع البرهان في وجوه البيان : أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب ص350 – و الهوامل والشوامل : علي بن محمد بن العباس التوحيدي ص 275

ا – تكلم في هذا الجانب كثير من السلف كما ذكر السيوطي – رحمه الله – في الإتقان مثل الجرجاني في دلائل الإعجاز والباقلاني في إعجاز القرآن .

وأيضا الرماني (ت سنة 386) في : (النكت في إعجاز القرآن) قسم البلاغة في عشرة أقسام: الإيجاز ، والتشبية، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، ثم يفسرها باباً باباً، مستشهداً لها بالقرآن)

ومن المحدثين مصطفي صادق الرافعي و محمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم) , سيد قطب في ظلال القرآن و التصوير الفني في القرآن و الشعراوي في(الخواطر ومعجزة القرآن) [53]

و شهد علي ذلك كبار الكفار مثل الوليد بن المغيرة , وغيره , فقد كانوا يعلمون الشعر و يتذوقونه , وكما سبق علقوا علي الكعبة المشرفة ما يسمي بالمعلقات السبع , فكان عجزهم إعترافا بالدرجة العليا لبلاغة القرآن على ما سيأتي بيانه إن شاء الله .

الوجه الثاني من الإعجاز اللغوي : خلوه من العيوب اللغوية [54]

أ تعريف علم النحو:

علم النحو، ويسمى علم الإعراب ، وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقما، وما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها في التراكيب . [55]

والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في التأليف والاقتدار على فهمه والإفهام به.

ب نشأة علم النحو:

أشهر القصص في تاريخ النحو ما أورده الأصفهاني في الأغاني، إذ دخل أبو الأسود الدؤلي في وقدة الحر بالبصرة على ابنته، فقالت له: ياأبت ما أشدُّ الحر؟ فرفعت كلمة (أشد) فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهرا ناجر، فقالت: ياأبت إنما أخبرتك ولم أسألك، والحقيقة أنه كان عليها أن تقول إذا أرادت إظهار التعجب من شدة الحر والإخبار عنه ماأشدَّ الحر.

إن علم النحو مبنى على الاستقراء , فسيبويه . مثلاً . أخذ يحلل كل النصوص الواردة عن العرب ، من شعر وخطابة ونثر وغير ذلك ، فوجد أنهم . العرب . دائماً يرفعون الفاعل فى كلامهم ، فاستنبط من ذلك قاعدة " الفاعل مرفوع " .. وهكذا نتجت لدينا " قاعدة نحوية " تسطر فى كتب النحو ، ليتعلمها الأعاجم فيستقيم لسانهم بالعربية إذا جرت عليه .

---

[53] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط دار المنا ر 1997ص 114

[54] للإستزادة راجع كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم .. د.محمد محمد داود

[55] كشاف اصطلاحات الفنون. محمد علي الفاروقي التهانوي.: مكتبة لبنان . ط: 1 – 1 – 17

وهو أن العرب لم تكن كلها لهجة واحدة ، ولم تكن كلها تسير على نفس القواعد النحوية ذاتها ، ولم تكن تلتزم كل قبيلة منها بنفس المعاملات النحوية .

وليس معنى ذلك أنه كان لكل قبيلة " نحوها " الخاص بها .. كلا .. وإنما اشتركت كل قبائل العرب فى " معظم " القواعد النحوية المشهورة الآن .. لكنها . أبداً . لم تجتمع على " كل " تلك القواعد بعينها و وكما تعلمون علي سبيل المثال الخلافات بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية.

ج القرآن الكريم هو المهيمن على اللغة العربية و علومها

" أهم " مصادر العلماء التى اعتمدوا عليها فى الاستقراء هو القرآن العظيم نفسه !

إن علماء النحو يستدلون على صحة قاعدة نحوية ما بورودها فى القرآن ، ليس فى قراءة حفص عن عاصم فقط ، بل يكفى ورودها فى أى قراءة متواترة أخرى .

أى أن القرآن . عند النحاة . هو الحاكم على صحة القاعدة النحوية ، وهى التى تسعى لتجد شاهداً على صحتها فى أى من قراءاته المتواترة .

القرآن هو الحاكم على النحو وليس العكس .

وضع النحويين القرآن مادة إستنباط القواعد النحوية وتطبيقها , وألف اللغويين (غريب القرآن)

د شبهات حول أخطاء قرآنية مزعومة

من الشبهات والرد عليها [56] رفع المعطوف على المنصوب

جاء في سورة المائدة ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَالذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾ [57] . وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول والصابئين كما فعل هذا في سورة البقرة 62 والحج 17.

الجواب: لو كان في الجملة اسم موصول واحد لحق لك أن تنكر فإنه لا يكون إلا وجه واحد: ﴿ إن الذين آمنوا والصابئين﴾ لكن لا يلزم لاسم الموصول الثاني أن يكون تابعا لإن. فالواو هنا استئنافية وليست عطفا على الجملة الأولى. والصابئون رفع على الابتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في (إن) من إسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى: حكمهم كذا. والصابئون كذلك. هذا ما رجحه ابن سيبويه في مخالفة الإعراب، وأنشد شاهدا له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا على شقاق

أي فاعلموا أنّا بغاة وأنتم كذلك. ويكون العطف من باب عطف الجمل، فالصابئون وخبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: إن الذين آمنوا، ولا محل لها، كما لا محل للجملة التي عطفت عليها، وإنما قدم

---

[56] إعراب القرآن526/2.

[57] المائدة 69

(الصابئون) تنبيها على أن هؤلاء أشد إيغالا في الضلالة واسترسالا في الغواية لأنهم جردوا من كل عقيدة»

الوجه الثالث من الإعجاز اللغوي : إشتماله علي المعاني الدقيقة من دقة اللفظ في القرآن الكريم [58]

يتأنق إسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد بها تؤمن بان هذا المكان كانما خلقت له، تلك الكلمة بعينها وان كلمة اخرى لاتستطيع توفيه المعنى الذى وفت به اختها فكل لفظة وضعت لتؤدى نصيبها من المعنى اقوى اداء ولذلك لاتجد في القران ترادفا بل فيه كل كلمة تحمل اليك معنى جديدا ولما بين الكلمات من فروق ولما يبعثه بعضها في نفس من ايحاءات خاصة دعا القران الايستخدم لفظ مكان اخر فقال ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾ [59]فهو لايرى التهاون في استعمال اللفظ ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه ولما كانت كلمة (راعنا) لها معنى في العبرية مذموم نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول بها فقال﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [60] فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدي به المعنى .

– وتنكير كلمة حياة في قوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ [61] يعبر تعبيرا دقيقا عن حرص هؤلاء الناس علي مطلق حياة يعيشونها مهما كانت حقيرة القدر ضئيلة القيمة وعندما اضيفت هذه الكلمة الى ياء المتكلم في قوله تعالى ﴿ وجئ يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول ياليتني قدمت لحياتي ﴾ عبرت ادق تعبير عن شعور الانسان يومئذ وقد ادرك في جلاء ووضوح أن تلك الحياة الدنيا لم تكن الاوهما بباطلا وسرابا خادعا اما الحياة الحقة الباقية فهي تلك التي بعد البعث لانها دائمة لاانقطاع لها فلا جرم أن سماها حياته وندم على انه لم يقدم عملا صالحا ينفعه في تلك الحياة...

– ومن دقة التمييز بين معاني الكلمات مانجده من الفرق في الاستعمال بين يعلمون ويشعرون ففي الامور التي ترجع الى العقل وحده امر الفصل فيها تجد كلمة يعلمون صاحبة الحق في التعبير عنها ؛ اما الامور التي يكون للحواس مدخل في شانها فكلمة (يشعرون) اولى بها؛

---

[58] من بلاغة القرآن : أحمد أحمد بدوي , دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة

[59] الحجرات 14

[60] البقرة 104

[61] البقرة 96

– وتأمل لذلك قوله تعالى﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [62] فالسفاهة أمر مرجعه الى العقل وقوله تعالى ﴿ فأما الذي آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ﴾ وقولة تعالى ﴿ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[63]وقوله تعالى﴿ أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[64] وقوله تعالى﴿ أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [65] وقوله تعالى ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [66]

وقوله تعالى ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [67] إلى غير ذلك مما يطول بي امر تعداده اذا مضيت قي ايراد كل ما استخدمت فيه كلمة يعلمون وتأمل قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾[68] فمن الممكن أن يرى الأحياء وان يحس بهم وقوله تعالى﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[69] فالعذاب مما يشعر به ويحس وقوله تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [70]

وقوله تعالى ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[71] وقوله تعالى ﴿وقلت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون ﴾ وغير ذلك كثير...

– واستخدم القرآن كلمة التراب ولكنه حين اراد هذا التراب الدقيق الذي لايقوى على عصف الريح استخدم الكلمة الدقيقة وهي الرماد فقال ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [72] كما انه اثر عليها كلمة الثرى عندما قال ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾[73] لانه يريد على

---

[62] البقرة 13

[63] البقرة 77

[64] الأنعام 114

[65] يونس 55

[66] الأنبياء 24

[67] النور 25

[68] البقرة 154

[69] الزمر 55

[70] البقرة 11 , 12

[71] النمل 18

[72] إبراهيم 18

[73] طه 4 : 6

مايبدو من سياق الايات الكريمة الارض المكونة من التراب وهي من معاني الثرى فضلا عما في اختيار الكلمة من المحافظة على الأوزان اللفضية في فواصل الايات...

الوجه الرابع من الإعجاز اللغوي :عدم الاختلاف والتناقض

قال الله تعالي ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾[74]

ا – قال الحافظ إبن كثير [75] (يقول تعالى آمرا لهم بتدبر القرآن وناهيا لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخبرا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ولهذا قال تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " ثم قال " ولو كان من عند غير الله " أي لو كان مفتعلا مختلفا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافا أي اضطرابا وتضادا كثيرا أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله)

ب – في فتح القدير للإمام الشوكاني ما نصه (تفاوتاً وتناقضاً، ولا يدخل في هذا اختلاف مقادير الآيات، والسور؛ لأن المراد اختلاف التناقض والتفاوت، وعدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البشر لا سيما إذا طال، وتعرّض قائله للإخبار بالغيب، فإنه لا يوجد منه صحيحاً مطابقاً للواقع إلا القليل النادر) [76].

ج – قال الفخر الرازي [77] : (أي لكان بعضه وارداً على نقيض الآخر، ولتفاوت نسق الكلام في الفصاحة والركاكة).

د– قال البيضاوي [78] ما نصه:

(﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله ﴾ أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار. ﴿ لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم، وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية. ولعل ذكره ها هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح).

---

[74] النساء 82

[75] تفسير القرآن العظيم , سورة النساء

[76] الفتح القدير سورة النساء

[77] تفسير سورة النساء للرازى

[78] تفسير سورة النساء للبيضاوى

هـ – قال النسفي [79]:

(أي تناقضاً من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم، أو تفاوتاً من حيث البلاغة فكان بعضه بالغاً حد الإعجاز وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، أو من حيث المعاني فكان بعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم).

الوجه الخامس من الإعجاز اللغوي :الجمع بين الجزالة والعذوبة , وهما متضادان

ا – قال حازم في منهاج البلغاء [80]: وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارًا لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه.

ب – قال الخطابي [81]: ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه إلى حكم الذوق.

والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز المطلق الرسل.

وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود.

فالأول أعلاها والثاني أوسطها والثالث أدناها وأقربها.

فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد في نعومتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعًا من الذعورة فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوكل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة لنبيه صلى الله عليه وسلم.

وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور.

منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه المنظوم

---

[79] تفسير سورة النساء للنسفي

[80] الإتقان ج 4 ص 11 و ط المكتبة التوفيقية

[81] المصدر السابق ص 14

التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتواصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حاصل ومعنى قائم ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولاأعذب من ألفاظه ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاوة وتشاكلًا من نظمه.

ل – وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في أبوابه والترقي إلى أعلى درجاته وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام فإما أن توجد مجموعة في نوع واحد فلم توجد إلا في كلام العليم القدير فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ودعائه إلى طاعته وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها واضعًا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه مودعًا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعائد منهم منبئًا عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الآتية من الزمان جامعًا في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا عليه وأداء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتنسق أمر يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أومناقضته في شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة أنه شعر لما رأوه منظومًا ومرة أنه سحر لما رأوه ومعجوز عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعًا في القلوب وقرعًا في النفوس يرهبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعًا من الاعتراف ولذلك قالوا: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وكانوا مرة بجهلهم يقولون أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلًا مع علمهم أن صاحبهم أمي وليس بحضرته من يملي أويكتب في نحوذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز.

ومنها: جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبًا في كلام البشر

الوجه السادس من الإعجاز اللغوي : عدوله عن التكرار

❖ **التكرار في القرآن الكريم**[82]

ا – تعريف التكرار لغة واصطلاحاً .

- **التكرار في اللغة :**

قال ابن منظور : [83]

---

[82] نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب , الشيخ محمد المنجد

[83] " لسان العرب " (5 / 135)

الكَرُّ : الرجوع ، يقال : كَرَّه وكَرَّ بنفسه ، يتعدّى ولا يتعدّى ، والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا ... والكَرُّ : الرجوع على الشيء ، ومنه التَّكْرارُ ...

قال الجوهري : كَرَّرْتُ الشيء تَكْرِيراً وتَكْراراً .

- **التكرار في الاصطلاح :**

تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد ، والتهويل ، والتعظيم ، وغيرها .

2التكرار من الفصاحة :

اعترض بعض من لا يفقه لغة العرب فراح يطعن بالتكرار الوارد في القرآن ، وظن هؤلاء أن هذا ليس من أساليب الفصاحة ، وهذا من جهلهم ، فالتكرار الوارد في القرآن ليس من التكرار المذموم الذي لا قيمة له – كما سيأتي تفصيله – والذي يرد في كلام من لا يحسن اللغة أو لا يحسن التعبير .

قال السيوطي – رحمه الله – [84] :

التكرير وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة.

3أنواع التكرار :

قسَّم العلماء التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين :

أحدهما : تكرار اللفظ والمعنى .

وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى ، وقد جاء على وجهين : موصول ، ومفصول .

أما الموصول : فقد جاء على وجوه متعددة : إما تكرار كلمات في سياق الآية ، مثل قوله تعالى ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [85]، وإما في أواخرها ، مثل قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴾ [86] ، وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة ، مثل قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ [87]

وأما المفصول : فيأتي على صورتين : إما تكرار في السورة نفسها ، وإما تكرار في القرآن كله .

مثال التكرار في السورة نفسها : تكرر قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ في سورة " الشعراء " 8 مرات ، وتكرر قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ في سورة " المرسلات " 10 مرات ، وتكرر قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة " الرحمن " 31 مرة .

ومثال التكرار في القرآن كله : تكرر قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ 6 مرات : في " يونس " (48) و "الأنبياء" (38) و " النمل " (71) و "سبأ" (29) و " يس " (48) و " الملك " (25) ، وتكرر قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ مرتين : في " التوبة " (73) و " التحريم " (9) .

---

[84] " الإتقان في علوم القرآن " (3 / 280) طبعة مؤسسة النداء

[85] المؤمنون 36

[86] الفجر 21

[87] الشرح 5 , 6

والثاني : التكرار في المعنى دون اللفظ .

وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وذِكر الجنة ونعيمها ، والنار وجحيمها .

4 فوائد التكرار:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

وليس في القرآن تكرار محض ، بل لابد من فوائد في كل خطاب .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في التعليق على تكرار قصة موسى مع قومه:[88]

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن ، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر ، كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة ، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر ، وليس في هذا تكرار ، بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل : محمد ، وأحمد ، والحاشر ، والعاقب ، والمقفى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر ، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة .

وكذلك القرآن إذا قيل فيه : قرآن ، وفرقان ، وبيان ، وهدى ، وبصائر ، وشفاء ، ونور ، ورحمة ، وروح : فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر .

وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل : الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور : فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر ، فالذات واحدة ، والصفات متعددة ، فهذا في الأسماء المفردة .

وكذلك في الجمل التامة ، يعبَّر عن القصة بجُمَل تدل على معانٍ فيها ، ثم يعبر عنها بجُمَل أخرى تدل على معانٍ أُخَر ، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ، ففي كل جملة من الجُمَل معنًى ليس في الجُمَل الأُخَر [89] .

وقال السيوطي , رحمه الله –[90]

: وله – أي : التكرار – فوائد منها : التقرير ، وقد قيل " الكلام إذا تكرَّر تقرَّر " ، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [91].

ومنها : التأكيد . ومنها : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، ومنه ﴿ وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ [92]، فإنه كرر فيه

---

[88] " مجموع الفتاوى " (14 / 408) .

[89] مجموع الفتاوى (19 / 167 ، 168)

[90] الإتقان في علوم القرآن (3 / 280) طبعة مؤسسة النداء

[91] طه 113

[92] غافر 38 , 39

النداء لذلك . ومنها : إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديداً لعهده ، ومنه ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ [93] ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ [94]، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [95] إلى قوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾، ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [96] ، ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ ﴾ [97] .

ومنها : التعظيم والتهويل نحو ﴿ الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ ﴾، ﴿ الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ ﴾، ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[98] .

5 فوائد تكرار بعض القصص والآيات :

1. قال أبو الفرج ابن الجوزي – رحمه الله – :

فإن قيل : ما الفائدة في تكرار قوله : (فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذِّبانِ) .

الجواب : أن ذلك التكرير لتقرير النِّعم وتأكيد التذكير بها ، قال ابن قتيبة : من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز ؛ لأن افتنان المتكلِّم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فنٍّ واحدٍ ، يقول القائل منهم : واللهِ لا أفعله ، ثم واللهِ لا أفعله ، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله ، كما يقول : واللهِ أفعلُه ، بإضمار " لا " إذا أراد الاختصار ، ويقول القائل المستعجِل : اعْجَل اعْجَل ، وللرامي : ارمِ ارمِ ، ... .

قال ابن قتيبة : فلمّا عَدَّد اللهُ تعالى في هذه السورة نعماءَه ، وأذكَرَ عِبَادَه آلاءَه ، ونبَّههم على قُدرته ، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نِعمتين ، ليُفَهِّمهم النِّعم ويُقَرِّرهم بها ، كقولك للرجل : أَلم أُبَوِّئْكَ مَنْزِلاً وكنتَ طريداً ؟ أفتُنْكِرُ هذا ؟ ألم أحُجَّ بك وأنت صَرُورَةٌ [هو من لم يحج قط] ؟ أفَتُنْكِرُ هذا ؟ . " [99].

2. قال القرطبي – رحمه الله – :

---

[93] النحل 119

[94] النحل 110

[95] البقرة 189

[96] آل عمران 188

[97] يوسف 4

[98] الإتقان في علوم القرآن (3 / 281 ، 282).

[99] – زاد المسير " (5 / 461)

وأما وجه التكرار – أي: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ – فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم، كما تقول: والله لا أفعل كذا، ثم والله لا أفعله.

قال أكثر أهل المعاني : نزل القرآن بلسان العرب ، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد ، قال الله تعالى : ﴿ فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذِّبان ﴾ ، ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [100]

و ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [101] كل هذا على التأكيد [102].

الوجه السابع من الإعجاز اللغوي : قصد في اللفظ مع وفاء المعنى

❖ من الإيجاز في القرآن الكريم

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى في وصف خمر الجنة:﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [103]

فقد جمع عيوب خمر الدنيا من الصداع ، وعدم العقل ، وذهاب المال ، ونفاد الشراب.

وحقيقة قوله تعالى:﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾. أي: لا يصدر صداعهم عنها. والمراد: لا يلحق رؤوسهم الصداع ، الذي يلحق من خمر الدنيا. وقيل: لا يفرقون عنها ، بمعنى: لا تقطَع عنهم لذتهُم بسبب من الأسباب، كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق.

وقرأ مجاهد:﴿ لَا يَصَدَّعُونَ ﴾، بفتح الياء وتشديد الصاد، على أن أصله: يتصدعون، فأدغم التاء في الصاد. أي: لا يتفرقون؛ كقوله تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) [104] وقُرِىءَ:﴿ لَا يَصَدَعُونَ ﴾، بفتح الياء والتخفيف. أي: لا يصدع بعضهم بعضًا، ولا يفرقونهم. أي: لا يجلس داخل منهم بين اثنين، فيفرق بين المتقاربين؛ فإنه سوء أدب، وليس من حسن العشرة.

وقوله تعالى:﴿ وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾، قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: لا تذهب عقولهم بسكرها، من نزف الشارب، إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. قيل: وهو من نزف الماء: نزحه من البئر شيئًا فشيئًا.

ب – بديع الإطناب قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى ﴾ [105]

---

[100] – النبأ 4 , 5

[101] – الشرح 5 , 6

[102] – " تفسير القرطبي " (20 / 226)

[103] – الواقعة 19

[104] الروم 43

[105] يوسف 53

ففي قوله:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ [106] تحيير للمخاطب وتردد، في أنه كيف لا يبرىء نفسه من السوء، وهي بريئة، قد ثبت عصمتها ! ثم جاء الجواب عن ذلك بقوله:﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبّى ﴾.
والمراد بالنَّفْسَ النفس البشرية عامة. وأمَّارَةٌ صيغة مبالغة على وزن: فعَّالة. أي: كثيرة الأمر بِالسُّوءِ. أي: بجنسه. والمراد: أنها كثيرة الميل إلى الشهوات. والمعنى: إن كل نفس أمارة بالسوء، إلا نفسًا رحمها الله تعالى بالعصمة. وهذا التفسير محمول على أن القائل يوسف عليه السلام. والظاهر أنه من قول امرأة العزيز، وأنه اعتذار منها عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات. والمعنى: وما أبريء نفسي، مع ذلك من الخيانة، فإني قد خنته حين قذفته، وقلت:﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [107]، وأودعته السجن. تريد بذلك الاعتذار مما كان منها. ثم استغفرت ربها، واسترحمته مما ارتكبت.

ج – ومن الآيات البديعة، التي جمعت بين الإيجاز والإطناب، في أسلوب رفيع من النظم بديع، قول الله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(النمل: 18)
أما الإطناب [108] فنلحظه في قول هذه النملة:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، وقولها:﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. أما قولها:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾ فقال سيبويه:" الألف والهاء لحقت { أيًّا } توكيدًا؛ فكأنك كررت { يا } مرتين، وصار الاسم تنبيهًا ".
وقال الزمخشري:" كرر النداء في القرآن بـ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، دون غيره؛ لأن فيه أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة؛ منها: ما في { يا } من التأكيد، والتنبيه، وما في { ها } من التنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في { أيّ } إلى التوضيح. والمقام يناسبه المبالغة، والتأكيد ".
وأما قولها:﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فهو تكميل لما قبله، جيء به، لرفع توهُّم غيره، ويسمَّى ذلك عند علماء البلاغة والبيان: احتراسًا؛ وذلك من نسبة الظلم إلى سليمان– عليه السلام– وكأن هذه النملة عرفت أن الأنبياء معصومون، فلا يقع منهم خطأ إلا على سبيل السهو. قال الرازي:" وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء، عليهم السلام ".
ومثل ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[109] أي: تصيبكم جناية كجناية العَرِّ؛ وهو الجرب.

---

[106] راجع المصدر السابق سورة يوسف
[107] يوسف 25
[108] المصدر السابق سورة النمل
[109] الفتح 25

وأما الإيجاز فنلحظه فيما جمعت هذه النملة في قولها من أجناس الكلام؛ فقد جمعت أحد عشر جنسًا: النداء، والكناية، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والقصص، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والعذر.

فالنداء:{ يا }. والكناية:{ أيُّ }. والتنبيه:{ ها }. والتسمية:{ النمل }. والأمر:{ ادخلوا }. والقصص:{ مساكنكم }. والتحذير:{ لا يحطمنكم }. والتخصيص:{ سليمان }. والتعميم:{ جنوده }. والإشارة:{ هم }. والعذر:{ لا يشعرون }.

فأدَّت هذه النملة بذلك خمسة حقوق: حق الله تعالى، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق الجنود.

فأما حق الله تعالى فإنها استُرعيت على النمل، فقامت بحقهم. وأما حق سليمان– عليه السلام– فقد نبَّهته على النمل. وأما حقها فهو إسقاطها حق الله تعالى عن الجنود في نصحهم. وأما حق الرعية فهو نصحها لهم؛ ليدخلوا مساكنهم. وأما حق الجنود فهو إعلامها إياهم. وجميع الخلق، أن من استرعاه الله تعالى رعيَّة، وجب عليه حفظها، والذبِّ عنها، وهو داخل في الخبر المشهور:" كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته ". هذا من جهة المعنى. وأما من جهة المبنى (اللفظ) فإن كلمة { نملة } من الكلمات، التي يجوز فيها أن تكون مؤنثة، وأن تكون مذكرة؛ وإنما أنث لفظها للفرق بين الواحد، والجمع من هذا الجنس. ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام:" لا تضحِّي بعوراءَ، ولا عجفاءَ، ولا عمياءَ " كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة، ولا يعني الإناث من الأنعام خاصة !

وأما تنكير { نملة } ففيه دلالة على البعضيَّة، والعموم. أي: قالت نملة من هذا النمل. وهذا يعني أن كل نملة مسؤولة عن جماعة النمل.

وأما قولها:﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ففيه إيجاز بالحذف بليغ؛ لأن أصله: ادخلوا في مساكنكم، فحذف منه { في }، تنبيهًا على السرعة في الدخول.

وأما قولها:﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾، بنون مشددة أو خفيفة، فظاهره النفيُ؛ ولكن معناه على النهي. والنهيُ إذا جاء على صورة النفي، كان أبلغ من النهي الصريح. وفيه تنبيه على أن من يسير في الطريق، لا يلزمه التحرُّز؛ وإنما يلزم من كان في الطريق.

الوجه الثامن من الإعجاز اللغوي: جمعه بين الإجمال والبيان

أ البيان في اللغة [110] :

(بان الشيء إذا انفصل فهو بائن وأبنته بالألف فصلته وبانت المرأة بالطلاق فهي بائن بغير هاء وأبانها زوجها بالألف فهي مبانة قال ابن السكيت في كتاب التوسعة وتطليقة بائنة والمعنى مبانة قال الصغاني فاعلة بمعنى مفعولة , وبان الحي بينا وبينونة ظعنوا وبعدوا وتباينوا تباينا إذا كانوا جميعا فافترقوا)

[110] – المصباح المنير , الباء مع الياء

عبارة عن إظهار المعنى بعبارة مبيِّنة عن حقيقته من غير توسع في الكلام، فإنْ تأنقت في إسهاب فهي البلاغة.

نجد هذا واضحا وضوح شمس النهار في القرآن الكريم , تسمع منه الكلمة فنجد هذا واضحا وضوح شمس النهار في القرآن الكريم , تسمع منه الكلمة فإذا هي في غاية الحسن والبيان في موضعها , فإذا جئت تعبر عنها بكلمة أخري وجدتها ركيكة مخلة للنظم والمعني

مثال كلمة ضيزى : –

كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [111] وقد وقف الرافعي عند هذه الكلمة وتبين من جمالها مظاهر كثيرة، ومخايل لا يملك من يطلع عليها إلا أن يخفض جناح الإقرار والتأييد، قال الرافعي: فإن حسن (ضِيزَى) في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها؛ فإن السورة التي هي منها، وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناتٍ لله مع أولادهم البنات، فقال تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى الأسفل والأعلى. وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية ... وأن تعجب فعاجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه مع ما قبلها، إذ هي مقطعان: أحدهما مد ثقيل، والآخر مد خفيف، وقد جاءت عقب غُنَّتين في (إِذًا) و (قِسْمَةٌ). وأحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي. وهذا معنى رابع للثلاثة التي عددناها آنفاً. أما خامس هذه المعاني، فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة على غرابتها، إنما هي أربعة أحرف .

ب الفصاحة لغة: [112]

فعبارة عن الظهور من قولهم: "أفصح الصبح"، إذا ظهر. واللفظ الفصيح هو الظاهر، والغالب أنه يستعمل باعتبار اللفظ الكثير الاستعمال في معناه وإنْ خالف القياس. [113]

---

[111] – النجم 22

[112] – راجع الفصاحه :[مفهومها و بما تتحقق قيمتها الجماليه / توفيق على الفيل. الناشر الكويت: تصدر عن كليه الآداب جامعه الكويت، 1996.

[113] – البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم

, قال فخر الدين الرازي يعرفها بانها خلوص الكلام من التعقيد. وقال الابشيهي ان اللفظ الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحاً حسناً. ومن هذين التعريفين يمكننا ان نستنتج ان الفصاحة تتركب من شيئين وهما صحة الشيئ و حسنه، سواء أكان كلمة او كلاما. ومع هذا لا يمكننا ان نعرّف الفصاحة بحد ينطبق على جميع انواعه الثلاثة، لاختلاف معناها بحسب هذه الثلاثة. ولكن كل تلك المعاني يرجع الى معناها اللغوي—الظهور والبيان والحسن.

الفصاحة عند بعضهم مقصورة على وصف الالفاظ ، فلا علاقة بينها وبين المعاني. ولكن رد هذه الفكرة الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز وأسهب في الرد على من قال ان الفصاحة انما هي وصف للالفاظ دون المعاني بل جعل الجرجاني الفصاحة وصفا خاصا للمعاني. فقال مثلا "وهل تجد احدا يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لاخواتها وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة الا وغرضهم ان يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم". وبعد ان تكلم كثيرا في هذا المجال استنتج الجرجاني فقال: "فقد اتضح اذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا ان الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وان الالفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما أشبه لك مما لا تعلق له بصريح اللفظ".

ج انواع الفصاحة [114]

1 –فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة هي وصف للكلمة العربية حينما تخلو من اربعة عيوب، وهي التنافر، والغرابة، مخالفة القياس، و كراهة السمع لها. والمراد بالتنافر هنا وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها. والمعيار في هذه المسألة هو العرب، فالذي يستلذه آذان العرب ويمارسه السنتهم فهو كلمة فصيحة. وبعض العلماء قسم التنافر قسمين متناه في الثقل وعسر النطق وغير متناه. فمثال الاول قول الاعرابي حين سئل عن ناقته تركتها ترعى الهعخع، ومثال الثاني كلفظ مستشزرات من قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات الى العلى * تضل العقاس في مثنى ومرسل

والمراد بالغرابة كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال بالنسبة الى العرب العرباء. والسبب في الغرابة اما ندرة استعمال العرب لها، واما لاحتياج التوصل الى المراد منها الى تخريج متكلَّف بعيد.

وذلك كقول رؤبة بن العجاج: ..... و فاحما ومرسنا مسرَّجا

فان مسرجا وصفا لمرسن— وهو الأنف—لا يدرى— لغرابته— هل معناه كالسراج في البريق واللمعان أو كالسيف السريجي في الدقة والاستواء.

---

[114] المصدر السابق

والثالث مخالفة القياس. وهي مخالفة القواعد النحوية او الصرفية، مثل فك الادغام في محل يوجب عدمه. وذلك كقول أبي النجم: الحمد لله العلي الاجلل * الواحد الفرد القديم الاول

والقياس يقتضي ادغام لفظ الاجلل فصار الاجلّ. واما الالفاظ المستعملة المخالفة للقواعد فهي في حكم المستثنيات وليست من المخالفة، لكونه ثبتت عن الواضع كذلك، مثل أبى، يأبى، وآل.

والرابع كراهة السمع. وهو ما يمجه السماع وتأنفه الطباع كقول ابي الطيب:

مبارك الاسم أغر اللقب * كريم الجرشى شريف النسب

فان السمع يمج لفظ الجرشى، قيل لتتابع الكسرات وتماثل الحروف. ولكن هذا الشرط الاخير للفصاحة اختلف فيه، بل قال السيوطي ان اشتراط هذا في الفصاحة ممنوع. لان كراهة السمع ان كانت لاستغرابه فقد دخلت في الغرابة او من جهة قبح الصوت فلا تعلق بالفصاحة لان السمع قد يستلذ غير الفصيح.

والجرجاني رد جعل اللفظ معيارا للفصاحة، للزوم القول بذلك اخراج الفصاحة من حيز البلاغة ومن ان تكون نظيرة لها. وذلك باحد الامرين اما بجعل اللفظ عمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا نبالي بغيره واما بجعله احد ما يتفاضل به الكلام، وكلا الامرين لا يقبل. واجاب عن كون الفصاحة انما يوصف بها اللفظ دون المعنى، بكونها "عبارة عن كون اللفظ على وصف اذا كان عليه دل على المزية التي نحن في حديثها" . وقال في محل آخر: "...ان المزية التي من اجلها استحق اللفظ الوصف بانه فصيح عائدة في الحقيقة الى معناه ولو قيل انها تكون فيه دون معناه لكان ينبغي اذا قلنا في اللفظة انها فصيحة ان تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكل حال".

2 – فصاحة الكلام

عرف بعضهم ان الكلام الفصيح هو الظاهرالبين، وذلك ان تكون الفاظه مفهومه لا يحتاج في فهمه الى استخراج من كتاب لغة، وهذا لكونه مألوفة الاستعمال بين ارباب الكلام ولا يكون مألوفة الاستعمال الا لحسنه .

ولا بد– مع سلامته من العيوب في فصاحة الكلمة—أن يسلم من اربعة عيوب: [115]

ا –. تنافر الكلمات عند اجتماعها ولو كانت في مفرداتها فصيحة. وهذا—مثل فصاحة الكلمة—ينقسم الى قسمين، متناه في الثقل ودونه. فمثال الاول ما اورده الجاحظ:

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

والثقل في النصف الاخير في هذا البيت جاء من تكرار الراء والباء. ومثال الثاني قول ابي تمام:

كريم متى امدحه امدحه والورى * معي واذا ما لمته لمته وحدي

وجاء الثقل فيه من تكرير لفظ ((امدحه)) بما فيه من حاء وهاء.

---

[115] راجع المصدر السابق , و سر الفصاحة: الأمير أبى محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى؛ حقق و علق علية وصنع فهارسة النبوى عبدالواحد شعلان.

ب – ضعف التأليف اما بكون تأليف الكلمات وإجراؤها على خلاف القواعد المشتهرة النحوية واما ان يكون فيه لحن نحوي او صرفي. ومن أمثلة ضعف التأليف: عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، استعمال الضمير المنفصل مع امكان استعمال الضمير المتصل، ونصب الفعل او جزمه بدون ناصب او جازم. وذلك مثل قول الشاعر: قد جفوني ولم * أجف الاخلاءُ

فان لفظ الاخلاء فاعل لـ"جفوني" على لغة اكلوني البراغيث، وهذا مخالف للقواعد النحوية المشهورة.

ج – التعقيد اللفظي بان يكون على غير ترتيب مفهوم للكلام العربي، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، وكالتشتيت في الروابط بين عناصر الجملة الواحدة او بين عناصر الجمل في الكلام الواحد. وهذا بخلاف ضعف التأليف، فان الاول لا يخل بفهم الكلام على الجملة وهذا قد يؤدي الى سوء فهم الكلام لعدم ترتيبه ترتيبا مفهوما. ومثاله قول الفرزدق:

وما مثله في الناس الا مملكا * ابو امه حي ابوه يقاربه

واصل ترتيب هذا الكلام: وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه، فغير هذا الترتيب وأتى بترتيب آخر صعب فهم الكلام به.

د – التعقيد المعنوي باستخدام لوازم فكرية بعيدة او خفية العلاقة او استخدام ما يسبب عسر فهم الكلام. مثاله قول العباس بن الاحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

ولا يفهم هذا البيت الا بعد إجهاد ذهني. ومعنى هذا البيت سأطلب عنكم وأتحمل آلام الفراق واصبر عليه لان عاقبة الالم والصبر الفرج، وحين يأتي الفرج يكون قرب دائم، ووصل مستمر مصحوب بسرور لا ينقطع.

الوجه التاسع من الإعجاز اللغوي: ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومبين لأساليبهم

تعريف النظم لغويا [116] :

(ن ظ م) : نظمت الخرز نظما من باب ضرب جعلته في سلك وهو النظام بالكسر ونظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام وهو على نظام واحد أي نهج غير مختلف .

ونظمت الشعر نظما .

---

[116] – المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى / تاليف احمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ؛ تحقيق عبد العظيم الشناوى.

الناشر القاهرة : دار المعارف، [1994].

تعريف الترصيف لغويا [117]:

(ر ص ف) : رصفت الحجارة رصفا من باب قتل ضممت بعضها إلى بعض فهي رصف بالفتح الواحدة رصفة مثال قصب وقصبة وعمل رصيف ثابت محكم وجواب رصيف قوي لا يرد .

ا – قال الزملكاني : وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبًا وزنة وعلة مركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى. [118]

ب – قال ابن عطية [119]: الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاك بكل شيء علمًا وأحاط بالكلام كله فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علو بإحاطته: أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول.

ثم علق السيوطي فقال (ومعلوم ضرورة أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك.

والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أوالخطبة حولًا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرًا وكتاب الله تعالى لونزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذا كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة وفي معجزة عيسى بالأطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته وكذلك الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن محمد صلى الله عليه وسلم.

ج – قال الأصبهاني في تفسيره [120] :(..... الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزًا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول: مراتب تأليف الكلام خمس.

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف.

---

[117] – المصدر السابق , الراء مع الفاء

[118] – الإتقان في علوم القرآ ج4 ص 10 . ط المكتبة التوفيقية

[119] – المصدر السابق

[120] المصدر السابق ص 12

والثانية: تأليف هذت الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهوالنوع الذي يتداوله الناس جميعًا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنثور من الكلام.
والثالثة: يضم بعض ذلك إلى بعض ضمًا له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم.
والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع.والخامسة: أن يجعل مع ذلك وزن ويقال له الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة.
فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها يدل على ذلك لأنه لا يصح أن يقال له رسالة أوخطابة أوشعراء أوسجع كما يصح أن يقال هوكلام والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولها قال تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنبيهًا على أن تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخر)
د – قال الجرجاني [121] , مع عدم إهتمامه بغير النظم (أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر ، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبوبها مكانها ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً التئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم لوحك بيافوخه السماء موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول وخلدت القروم. فلم تملك أن تصول... .
ويعقب ذلك بأن هذه كانت دلائل إعجاز القرآن، ومزايا ظهرت في نظمه وسياقه، بهرت العرب الأوائل، فهل ينبغي للفتى الذكي العاقل أن يكون مقلداً في ذلك، أيكون باحثاً ومتتبعاً كي يعلم ذلك بيقين؟ ومن ثم وضع كتابه الحاضر (دلائل الإعجاز) ليدل الناشدين على ضالتهم، ويضع يدهم على مواقع الإعجاز من القرآن، ويدعم مدعاه في ذلك بالحجة والبرهان. والرائد لا يكذب أهله. قال: وبذلك قد قطعت عذر المتهاون، ودللت على ما أضاع من حظه، وهدايته لرشده... .
وقال . في رسالته الشافية . : كيف يجوز أن يظهر في صميم العرب وفي مثل قريش ذوي الأنفس الأبية والهمم العلية والأنفة والحمية من يدعي النبوة ويقول: وحجتي أن الله قد أنزل عليّ كتاباً تعرفون ألفاظه وتفهمون معانيه، إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله ولا بعشر سور منه ولا بسورة واحدة، ولو جهدتهم جهدكم واجتمع معكم الجن والإنس.

[121] دلائل الإعجاز

ثم لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضوه ويبينوا سرفه في دعواه، لو كان ممكناً لهم، وقد بلغ بهم الغيظ من مقالته حداً تركوا معه أحلامهم وخرجوا عن طاعة عقولهم، حتى واجهوه بكل قبيح ولقوه بكل أذى ومكروه ووقفوا له بكل طريق. وهل سمع قط بذي عقل استطاع أن يخرس خصمه بكلمة يجيبه بها، فيترك ذلك إلى أمور ينسب معها إلى ضيق الذرع وأنه مغلوب قد أعوزته الحيلة وعزّ عليه المخلص، وهل مثل هذا إلا مثل رجل عرض له خصم فادعى عليه دعوى خطيرة وأقام على دعواه بينة، وكان عند المدعى عليه ما يبطل تلك البينة أو يعارضها، فيترك إظهار ذلك ويضرب عنه الصفح جملة، ليصير الحال بينهما إلى جدال عنيف وإخطار بالمهج والنفوس... قال: هذه شهادة الأحوال، وأما شهادة الأقوال فكثيرة... .

ثم قال . في وجه التحدي . : لم يكن التحدي إلى أن يعبروا عن معاني القرآن أنفسها وبأعيانها بلفظ يشبه لفظه ونظم يوازي نظمه، هذا تقدير باطل. فإن التحدي كان إلى أن يجيؤوا، في أي معنى شاؤوا من المعاني، بنظم يبلغ نظم القرآن، في الشرف أو يقرب منه. يدل على ذلك قوله تعالى: (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أي مثله في النظم، وليكن المعنى مفترى لما قلتم. فلا إلى المعنى دعيتم، ولكن إلى النظم... .

قال: ويجزم القول بأنهم تحدوا إلى أن يجيؤوا في أي معنى أرادوا مطلقاً غير مقيد، وموسعاً عليهم غير مضيق، بما يشبه نظم القرآن أن يقرب من ذلك)

قال السيوطي رحمه الله (قال آخرون: هوكونه خارجًا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم وهوبذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم حتى أ من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه

ل – قال الرماني (قال: ونقض العادة هوا العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة ويفوق الموزون الذي هوأحسن الكلام.

قال: وأما قياسه بكل معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة إذا كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلًا واحدًا في الإعجاز إذ خرج عن العادة فصد الخلق عن المعارضة.)

ف – قال القاضي عياض في الشفا [122]: اعلم أن القرآن منطوعلى وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه.

أولها: حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبالغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

[122] المصدر السابق ص 17

والثاني: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنها نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له. قال: وكل واحد من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها خلافًا لمن زعم أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب هو البيان والفصاحة.

الوجه العاشر من الإعجاز اللغوي : إيراد المعني الواحد بطرق مختلفة

مثال علي ذلك القصة

1 القصة منهجها ومن أسرار التكرار فيها

أ القصة لغة: (القصة: الخبر،وهو القَصَص، وقصَّ علي خبره يقصه قصا وقَصَصا:أورده)

. ومنه: (القص وهو تتبع الأثر), (والقَصص: الأثر)(والقصص: الأخبار المتتبعة) [123]

وللقصة معان أخرى متقاربة، فهي تأتي بمعنى(الخبر), و(الأمر والحديث) و(الجملة من الكلام) [124]

(والقَصص: الخبر المقصوص، بالفتح, وُضِع موضعَ المصدر حتى صار أغلب عليه,والقِصص, بكسر القاف: جمع القِصة التي تكتب) [125]

فمدلول القصة في اللغة واضح, وواسع, ولكن بعض المُحْدَثين يختار مدلولا للقصة فيه بعض القيود, وهو: (الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى لا يخلو من بعض عبرة فيه شيء من التطويل في الأداء) [126]

ب القصة اصطلاحا: أما مفهوم القصة في القرآن الكريم, فهو وإن كان واضحا في مفرداته وما صدقاته, وذلك من خلال وضوحه في اللغة, غير أن ضبطه بحدٍّ في القرآن الكريم قد تتفاوت فيه وجهات النظر, وذلك نظرًا لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدقٍ في الواقعية التاريخية, وجاذبيةٍ في العرض والبيان, و(شموليةٍ في الموضوع, وعلوٍ في الهدف, وتنوعٍ في المقصد والغرض, ووضوحٍ في الإعجاز) [127]

ج خصائص القصص القرآني [128]

---

[123] بحوث في قصص القرآن، للسيد عبد الحافظ عبد ربه،: دار الكتاب اللبناني- بيروت، 1972م

[124] البرهان في علوم القرآن، للإمامُ الزركشيُّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: عيسى البابي الحلبي, الثانية

[125] بلاغة القرآن الكريم، للعلامة محمد الخضر حسين،:الدار الحسينية للكتاب، 1417هـ-1997م

[126] الدعوة إلى الله تعالى، د.عبد الرب نواب الدين آل نواب،: دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، 1410هـ-1990م

[127] القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، لعبد الكريم الخطيب، ط: السنة المحمدية- القاهرة، 1384هـ-1964م

[128] نقلا عن القِصَّة في القرآنِ الكريم : عبد الباسط شاكر – موقع عالم القرآن الكريم – الشبكة العنكبوتية .

يتميز القَصَص القرآنيّ عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلالةً وقداسةً, ويزداد بها بلاغة وإعجازًا, ويعظم بها أهمية وتأثيرًا, وبهذه الخصائص استحق أن يُوسَم بأحسن القصص في قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) [129]

❖ **فمن تلك الخصائص:**

1. التكرار الهادف المعجز: ولما لهذه الخِصِّيصة من تميز وظهور.. فإنما أفردنا الحديث عنها لبيان المراد بإطلاق (التكرار) في القرآن, وبيانِ مغازيه وأهدافه التي تزيده سموا ورفعة, وبيانِ الكتب التي ألفت خاصة في بيان تلك الروعة القرآنية . [130]

2. الواقعية التاريخية : ونعني بها أن كل ما في قصص القرآن من أخبار الأولين فإنها هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل, ولا يخالفها نقل, وسواءٌ في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم, وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات, كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة, وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع, ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة, ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة, كما يدعي بعض المستشرقين, أو أذنابهم ممن ختم الله على قلوبهم, فهم ينعقون بما لا يعلمون؛ باسم الإبداع الأدبي تارةً, وباسم الفن القصصي تارة أخرى, وباسم الإمتاع وسعة الخيال تارة ثالثة, وبأسماء أخرى تاراتٍ و تاراتٍ, وليس لهؤلاء همٌّ ولا هدفٌ من أدبٍ وغيره.. إلا تقويضَ دعائم القرآن, والتشكيكَ في مصداقيته (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [131]

ما ضرَّ هذا البحرَ أمسى زاخِرًا أنْ رمَى فيه غلامٌ بحَجَر

وأيُّ مصداقية أعظم مما يقول الله فيه . وهو أصدق القائلين . : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [132] . وسوف نعقد . إن شاء الله تعالى . فصلا خاصا لدحض شبهات المفترين، ولبيان المفارقة بين القصة القرآنية والقصة الفنية المعاصرة . [133]

3- الشمولية المطلقة: فقصص القرآن شاملة من عدة جهات:

أ- (في حصر النفوس المخاطبة وطباعها وخلالها ووجهاتها ومكامن شعورها..

ب- في تنويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون..

ج- ومن حيث الزمن؛ فالقصة تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل..)

---

[129] يوسف 3

[130] الدعوة إلى الله تعالى، د.عبد الرب نواب الدين آل نواب، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، 1410هـ-1990م. ص: (160).

[131] الصف 8

[132] آل عمران 62

[133] بلاغة القرآن الكريم، للعلامة محمد الخضر حسين، ص 105 .

د- ومن حيث شمولية موضوعاتها؛ فكما أنك تجد في موضوعات القرآن شمولا.. فكذلك تجد في قصص القرآن شمولا لكل تلك الموضوعات, من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسلطانية وغير ذلك..[134]

4- كونا هادفة : [135]

فالغاية الأولى من قصص القرآن هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق, حتى ينصلح الفرد والمجتمع, وليست الغاية قاصرةً على إمتاع النفوس بسماع قصص مسليِّة أو بطولات خيالية, أو إظهارَ براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح, كما هو الحال في عامة الفنِّ القصصي, وليست الغاية أيضا سردًا تاريخيًا جافا, كما هي مهمة المؤرخين, فالقرآن بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى , قال جل شأنه: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [136]

د الإعجاز القصصي :

إن القصة تمثل جزءًا كبيرًا من القرآن, وبالتالي فهي كسائر القرآن في كل خصائصه وسِمَاته العامة, ومن ذلك كونه معجزًا؛ فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن غير القصص تجدها في القصص, لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى من الإعجاز تميزه عن غيره.. فمن تلك الوجوه: التكرار الهادف؛ حيث تجد في كل موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في نفس القصة في موطن آخر, ومن وجه آخر؛ حيث يعجز إنسان . مهما أوتي من البيان . عن التنويع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة , دون أن تظهر عليه علامات الضعف أو الرِّكَّة أو التفكك أو التكلف. ومنها: إخباره عن قصص ماضية دارسة صدَّقها أهل الكتاب. ومنها: إخباره عن قصص مستقبلة غيبية.. منها ما صدقتها الأيام, ومنها ما سيقع.. وغير ذلك مما هو مبسوط في مظانّه من كتب الإعجاز... والله تعالى أعلم . [137]

من إعجاز القصة , قال الباقلاني رحمه الله [138] (أتى القرآن على ذكر القصة بضروب مختلفة , بدأ بذكر السور ة ، إلى أن بين أن القرآن من عنده، فقال: "وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ"، ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وأنه رأى ناراً فقال لأهله امكثوا: "إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم منها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ".

---

[134] الدعوة إلى الله تعالى، د.عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط: دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، 1410هـ-1990م. ص 162

[135] القصة القرآنية هداية وبيان، د.وهبة الزحيلي، ط:دار الخير- دمشق، بيروت، الثانية: 1418هـ 1998م. ص 5

[136] سورة يوسف 111

[137] القصة في القرآن الكريم , بقلم : عبد الباسط شاكر – موقع عالم القرآن الكريم بالشبكة العنكبوتية

[138] فصل أتى القرآن على ذكر القصة بضروب مختلفة : إعجاز القرآن الكريم : الباقلاني

وقال في سورة طه في هذه القصة: "لَعَلِّي آتِيكُم مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى".
وفي مواضع: "لعلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَة مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"، قد تصرف في وجوه، وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك.
تحداهم أن يأتوا بحديث مثله ولهذا قال: "فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ"، ليكون أبلغ في تعجيزهم، وأظهر للحجة عليهم. وكل كلمة من هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة، فهي بليغة بنفسها، تامة في معناها.
انظر إلى علو أمر النداء
ثم قال: "فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالمِينَ". فانظر إلى ماجرى له من الكلام ، من علو أمر هذا النداء ، وعظم شأن هذا الثناء ، وكيف انتظم مع الكلام الأول ، وكيف اتصل بتلك المقدمة ، وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية ، وما دل به عليها من قلب العصامية ، وجعلها دليلاً يدله عليه ومعجزة تهديه إليه .
انظر إلى الكلمات المفردة القائمة بالحسن
وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن، وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة، ثم ما شفع به هذه الآية، وقرن به هذه الدلالة: من اليد البيضاء – عن نور البرهان – من غير سوء.
انظر إلى كل آية وكل كلمة
ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم، وبديع الرصف؟ فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذواتها، تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها.. ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلاً، ببديع التأليف، وبليغ التنزيل.
إن كنت من أهل الصنعة فاعمد إلى قصة فعبر عنها بأسلوب وإن أردت أن تتبين ما قلناه فضل تبين، وتتحقق بما ادعيناه زيادة تحقق، فإن كنت من أهل الصنعة فاعمد إلى قصة من هذه القصص، وحديث من هذه الأحاديث، فعبر عنه بعبارة من جهتك، وأخبر عنه بألفاظ من عندك، حتى ترى فيما جئت به النقض الظاهر، وتتبين في نظم القرآن الدليل الباهر.
و لذلك أعاد قصة موسى في سور، وعلى طرق شتى، وفواصل مختلفة، مع اتفاق المعنى.
متى تهيأ لبليغ أن يتصرف في قدر آية، في أشياء مختلفة، فيجعلها مؤتلفة، من غير أن يبين على كلامه أعباء الخروج والتنقل، أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتعمل؟ وأحسب أنه يسلم من هذا – ومحال أن يسلم منه – حتى يظفر بمثل تلك الكلمات الإفراد، والألفاظ الأعلام، حتى يجمع بينها، فيجلو فيها فقرة من كلامه، وقطعة من قوله؟ ولو اتفق له في أحرف معدودة، وأسطر قليلة، فمتى يتفق له في قدر ما نقول إنه من القرآن معجز؟ هيهات هيهات!
لا يمكن أن يتهيأ لبشر أن يقول ما قال القرآن

إن الصبح يطمس النجوم وإن كانت زاهرة، والبحر يغمر الأنهار وإن كانت زاخرة. متى تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام، بعد ذكر العنوان والتسمية، هذه الكلمة الشريفة العالية: "أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ"، والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير، واشتعلت به من المشورة، ومن تعظيمها أمر المستشار، ومن تعظيمهم أمرها، وطاعتها بتلك الألفاظ البديعة، والكلمات العجيبة البليغة، ثم كلامها بعد ذلك، لتعلم تمكن قولها: "يَا أَيُّهَا الْملأُ أَفْتُونِي في أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ"، وذكر قولهم: "قَالُوا نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ".

لا تجد في صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به، وقوله: "الأَمْرُ إِلَيْكِ"، وتعلم براعته بنفسه وعجيب معناه، وموضع اتفاقه في هذا الكلام، وتمكن الفاصلة، وملاءمته لما قبله، وذلك قوله: "فانظري ماذا تأمُرِينَ".

انظر إلى الاختصار مع البيان والإيجاز

ثم إلى هذا الاختصار، وإلى البيان مع الإيجاز، فإن الكلام قد يفسده الاختصار، ويعميه التخفيف منه والإيجاز، وهذا مما يزيده الاختصار بسطاً، لتمكنه ووقوعه موقعه، ويتضمن الإيجاز منه تصرفاً يتجاوز محله وموضعه.

وكما جئت إلى كلام مبسوط يضيق عن الإفهام، ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام، ثم لو وقع على الإفهام.

فما يجب فيه من شروط الأحكام، أو بمعاني القصة وما تقتضي من الإعظام، ثم لو ظفرت بذلك كله رأته ناقصاً في وجه الحكمة، أو مدخولاً في باب السياسة، أو مصفوفاً في طريق السيادة، أو مشترك العبارات إن كان مستوجد المعنى، أو جيد البلاغة مستجلب المعنى، أو مستجلب البلاغة جيد المعنى، أو مستنكر اللفظ وحشي العبارة، أو مستبهم الجانب مستكره الوضع.

إنك تجد فيما تلونا عليك ما إذا بسط أفاد

وإذا اختصر كمل , وأنت لا تجد في جميع ما تلونا عليك إلا ما إذا بسط أفاد، وإذا اختصر كمل في بابه وجاد، وإذا سرح الحكيم في جوانبه طرف خاطره، وبعث العليم في أطرافه عيون مباحثه، لم يقع إلا على محاسن تتوالى، وبدائع تترى. , فكر في قوله تعالى: "إن الملوك إذا دخلوا...".

ثم فكر بعد ذلك في آية آية، أو كلمة كلمة في قوله: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ"، هذه الكلمات الثلاث: كل واحدة منها كالنجم في علوه ونوره، وكالياقوت يتلألأ بين شذوره... ثم تأمل تمكن الفاصلة – وهي الكلمة الثالثة – وحسن موقعها، وعجيب حكمها، وبارع معناها.

وإن شرحت لك ما في كل آية طال عليك الأمر، ولكني قد بينت بما فسرت، وقررت بما فصلت، الوجه الذي سلكت، والنحو الذي قصدت، والغرض الذي إليه رميت، والسمت الذي إليه دعوت)

الوجه الحادي عشر من الإعجاز اللغوي: براعته في تصريف القول [139]

ا – منها تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية :

1– الإتيان بصريح مادة الأمر نحو قوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [140]

2– والإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين ؛نحو ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [141]

3– والإخبار بكونه على الناس؛ نحو﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[142]

4– والإخبار عن المكلف بالمطلوب منه ؛ نحو ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ ﴾[143] أي مطلوب منهن أن يتربصن.

5– والإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره؛ نحو ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [144] أي مطلوب من المخاطبين تأمين من دخل الحرم

6– وطلب الفعل بصيغة فعل الأمر ؛ نحو ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾[145] أو بلام الأمر ؛نحو﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾.[146]

7– والإخبار عن الفعل بأنه خير﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾[147].

8– ووصف الفعل وصفاً عنوانيا بأنه بِر ؛نحو ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾[148].

9– ووصف الفعل بالفرضية؛ نحو ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾.[149]

10– وترتيب الوعد والثواب على الفعل؛ نحو ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[150].

---

[139] مناهل العرفان : الزرقاني ج 4 ص 229 : 232

[140] النساء 58

[141] البقرة 183

[142] آل عمران 108

[143] البقرة 288

[144] آل عمران 97

[145] البقرة 238

[146] الحج 29

[147] البقرة 220

[148] البقرة 189

[149] الأحزاب 50

[150] البقرة 245

11- وترتيب الفعل على شرط قبله ، نحو ﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾[151]

12- وإيقاع الفعل منفيا معطوفا عقب استفهام ؛ نحو ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾[152] أي فليتذكروا.

13-وإيقاع الفعل عقب ترج ؛ نحو ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[153].

14-وترتيب وصف شنيع على ترك الفعل؛ نحو ﴿ ومن لم يحكمْ بما أنزل اللهُ فأولئكَ هم الكافرون﴾[154].

ب - ومنها تعبيره عن النهي بالوسائل الآتية :

1 - الإتيان في جانب الفعل بمادة الفعل بمادة النهي نحو ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[155].

2 - والإتيان في جانبه بمادة التحريم نحو ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾[156]

3 - نفي الحل عنه نحو ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا ﴾[157]

4 - النهي عنه بلفظ لا نحو ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[158].

5 - ووصفه بأنه ليس برا نحو ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [159] .

6 - ووصفه بأنه شر نحو ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[160].

7 - وذكر الفعل مقرونا بالوعيد ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[161].

8 - وذكر الفعل منسوبا إليه الإثم نحو ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾[162].

---

[151] البقرة 196

[152] النحل 17

[153] البقرة 185

[154] المائدة 44

[155] الممتحنة 9

[156] الأعراف 33

[157] النساء 19

[158] الإسراء 34

[159] البقرة 189

[160] آل عمران 180

[161] التوبة 34

[162] البقرة 181

9 – ونظم الأمر في سلك ما هو بالغ الإثم والحرمة والإخبار عن الفعل بأنه رجس ووصفه بأنه من عمل الشيطان والأمر باجتنابه ورجاء الفلاح في تركه وترتيب مضار مؤذية على فعله والأمر بالانتهاء عنه في صورة الاستفهام ونمثل لهذه الطرق كلها بتحريم الخمر والميسر في قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾.[163]

ومنها تعبيره عن إباحة الفعل بالطرق الآتية :

1 – التصريح في جانبه بمادة الحل نحو ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾.[164]

2 – والأمر به مع قرينه صارفة عن الطلب نحو ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّـهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.[165]

3 – ونفي الإثم عن الفعل نحو :﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.[166]

4 – ونفي الحرج عنه نحو ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[167] أي في ترك القتال أو في الأكل من البيوت.

5 – ونفي الجناح عنه في غير ما ادعى فيه الحرمة نحو ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.[168]

أما ما ادعى فيه الحرمة فإن نفى الجناح عنه يصدق بوجوبه نحو ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾.[169]

6 – وإنكار تحريمه في صورة استفهام نحو ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾.[170]

7 – والامتنان بالشي ووصفه بأنه رزق حسن نحو ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾.[171]

---

[163] المائدة 90

[164] المائدة 1

[165] البقرة 60

[166] البقرة 173

[167] الفتح 17

[168] المائدة 93

[169] البقرة 158

[170] الأعراف 32

[171] النحل 67

وهكذا تجد القرآن يفتن في أداء المعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة بين إنشاء وإخبار وإظهار وإضمار وتكلم وغيبة وخطاب ومضي وحضور واستقبال واسمية وفعليه واستفهام وامتنان ووصف ووعد ووعيد إلى غير ذلك ومن عجب أنه في تحويله الكلام من نمط إلى نمط كثيرا ما تجده سريعا لا يجاري في سرعته ثم هو على هذه السرعة الخارقة لا يمشي مكبا على وجهه مضطربا أو متعثرا بل هو محتفظ دائما بمكانته العليا من البلاغة .

تصرفه في أقوال من حكي عنهم

ومن ذلك قصة آدم , فقد وردت بصور مختلفة , وكلها معجزة و نجد في كل مرة ثمرات مختلفة .

تفننه في تنقلاته :

أمثلة على التقديم و التأخير [172]

ا- تقديم وتأخير اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت

كل الآيات في القرآن جاء اللعب مقدّماً على اللهو إلا في هذه الآية من سورة العنكبوت﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[173] ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه الآية في نفس السورة ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[174] والرزق ليس من مدعاة اللعب وإنما اللهو كما في قوله تعالى في سورة المنافقون ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.[175]

ب – تقديم وتأخير كلمة (شهيداً) في آية سورة العنكبوت وآية سورة الإسراء

قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.[176]

وقال في سورة الإسراء ﴿ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾[177]

في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته (خبيراً بصيرا) لذا اقتضى أن يُقدّم صفته (شهيداً) على (بيني وبينكم)، أما في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر (أولئك هم الخاسرون) لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر (بيني وبينكم) على (شهيدا).

---

[172] نقلا عن أسرار البيان في التعبير القرآني للدكتور – فاضل صالح السامرائي أستاذ النحو في جامعة الشارقة

[173] العنكبوت 64

[174] العنكبوت 62

[175] المنافقون 9

[176] العنكبوت 52

[177] الإسراء 96

تقديم شبه الجملة (عليها زكريا) في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.[178]

قاعدة نحوية: يقول سيبويه في التقديم والتأخير: يقدمون الذي هو أهمّ لهم وهم أعنى به.

والتقديم والتأخير في القرآن الكريم يقرره سياق الآيات فقد يتقدم المفضول وقد يتقدم الفاضل. والكلام في الآية في سورة آل عمران والآيات التي سبقتها في مريم عليها السلام وليس في زكريا ولا في المحراب لذا قدّم عليها لأن الكلام كله عن مريم عليها السلام.

تقديم وتأخير فوقكم والطور

ج – قوله تعالى في الكلام عن بني إسرائيل والطور فقد قال تعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.[179]

وقال في سورة النساء ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾.[180]

د – في سورة الأعراف ﴿ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.[181]

من حيث التقديم والتأخير هو قائم على الإهتمام الذي يقتضيه سياق الآيات سواء كان فضل أو مفضول وإنما للأهمية. في سورة البقرة (ورفعنا فوقكم الطور) فوقكم أهمّ من الطور نفسه وكذلك في آية سورة النساء أما آية سورة الأعراف فالجبل أهم من فوقهم.

في آية سورة الأعراف وصف تعالى الجبل كأنه ظُلّة وذكر (وظنوا أنه واقع بهم) ومعنى واقع بهم أي أوقع بهم أو أهلكهم وهذا كله له علاقة بالجبل فالجبل في الأعراف أهمّ. ولم يذكر عن الطور شيئاً آخر في سورة البقرة أو النساء.

آية البقرة والنساء يستمر الكلام بعد الآيات على بني إسرائيل حوالي أربعين آية بعد الآية التي جاء فيها ذكر الطور لذا قدّم فوقهم في النساء وفوقهم في البقرة على الطور للأهمية. أما في سورة الأعراف فبعد الآية التي تحدث فيها عن الجبل انتهى الكلام عن بني إسرائيل ولم يذكر أي شيء عنهم بعد هذه الآية لذا قدّم الجبل.

والجبل : هو إسم لما طال وعظُم من أوتاد الأرض والجبل أكبر وأهم من الطور من حيث التكوين. أما النتق فهو أشد وأقوى من الرفع الذي هو ضد الوضع. ومن الرفع أيضاً الجذب والإقتلاع وحمل الشيء

---

[178] آ ل عمران 37

[179] – البقرة 63

[180] – النساء 154

[181] – الأعراف 171

والتهديد للرمي به وفيه إخافة وتهديد كبيرين ولذلك ذكر الجبل في آية سورة الأعراف لأن الجبل أعظم ويحتاج للزعزعة والإقتلاع وعادة ما تُذكر الجبال في القرآن في موقع التهويل والتعظيم ولذا جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[182] ولم يقل الطور. إذن الجبل أشد تهديداً وتهويلاً

الوجه الثاني عشر من الإعجاز اللغوي: تأثيره في سامعيه (الإعجاز النفسي)

ا – من أشهر من قال ذلك الخطابى (ت سنة 388ه) الذي عاصر الرمانى (بيان إعجاز القرآن)
و القاضي عياض بن موسى إلىحصبي(ت سنة 544ه) فصلا في الجزء الأول من كتابه: (الشفا بتعريف حقوق المصطفي)لإعجاز القرآن أن قارئه لايمله، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبه، ولايزال غضا طريا، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد، ويُعادى إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته في الأزمات) [183]
وقال أيضا ه – قال الخطابي (ثم قال: وقد قلت في إعجاز القرآن وجهًا ذهب عنه الناس وهوصنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ذوي الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه قال تعالى لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله وقال الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم)
ب – أما التأثير الذي قوبل بالعناد لدفعه وعدم الاستسلام له، فمن أمثلته ما ذكره السيوطي [184] وغيره من مجيء عتبة بن ربيعة إلى النبي صلي الله عليه وسلم وكلامه إياه فيما جاء به قومه مما يخالف ما هم عليه، وأن النبي صلي الله عليه وسلم تلا (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [185] وعند ذلك أمسك عتبة بيده على فم رسول الله صلي الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف، وأنه قام لا يدري بما يراجع رسول الله صلي الله عليه وسلم : ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط، فما دريت ما أقول له . وعاند عتبة وظل على كفره، وكان من قتلى المشركين في بدر

---

[182] – الأعراف 143
[183] الشفاء ج 1 ص 232
[184] الدر المنثور للسيوطي:310،311/7
[185] فصلت 13

ع – وقال عياض [186]

ومنها: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور قال: فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[187] إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير.

قال: وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي.

وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف

ع – بل أسلم البعض عندما سمع هذا الصوت الجميل، ففي ذات يوم التقى "علي خليل" شيخ الإذاعيين، وكان بصحبته ضابط طيَّار إنجليزي– بالشيخ رفعت، فأخبره "علي خليل" أن هذا الضابط سمع صوته في "كندا"، فجاء إلى القاهرة ليرى الشيخ رفعت، ثم أسلم هذا الضابط بعد ذلك.

❖ **من ثأثيره في الكفار**

ا – قال الوليد بن المغيرة لكفار قريش [188] – وقد حضر الموسم – " ستقدم عليكم وفود العرب من كل جانب وقد سمعوا بأمر صاحبكم. فأجمعوا فيه رأيا ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضا . فقالوا: فأنت فقل . فقال بل قولوا وأنا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال ما هو بزمرة الكهان ولا سجعهم. قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون . لقد رأينا الجنون وعرفناه . فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخالجه . قالوا: نقول شاعر. قال ما هو بشاعر . لقد عرفنا الشعر رجزه وهزجه وقريضه . ومقبوضه ومبسوطه قالوا : نقول ساحر قال ما هو بساحر . لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بعقدهم ولا نفثهم قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال ما نقول من شيء من هذا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك . فجعلوا يجلسون للناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب نماذج من تأثير القرآن علي غير المسلمين في العصر الحالي:

1 – آرنولد [189] قال : ".. [إننا] نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار Alvar [الإسباني] الذي عرف بتعصبه على الإسلام، يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به. .") [190]

---

[186] الشفا ج 1 ص 232

[187] الطور 35

[188] – راجع السيرة النبوية لإبن هشام ج 1 , ومختصر السير : محمد بن عبد الوهاب

[189] – سير توماس أرنولد (1864 – 1930). Sir Thomas Amold

2 – بلاشير [191] قال :- "لا جرم في أنه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإعجاز البياني واللفظي والجرس الإيقاعي في الآيات المنزلة في ذلك العهد.. إن خصوم محمد [عليه الصلاة والسلام] قد أخطئوا عندما لم يشاءوا أن يروا في هذا إلا أغاني سحرية وتعويذية، وبالرغم من أننا على علم – استقرائيًا فقط – بتنبؤات الكهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطل هذا الحكم وتهافته، فإن للآيات التي أعاد الرسول [عليه الصلاة والسلام] ذكرها في هذه السور اندفاعًا وألقًا وجلالة تخلِّف وراءها بعيدًا أقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التي وصلتنا") [192]

3 – حتي [193] قال : "إن الأسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلّد. وهذا في أساسه، هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبري) [194]

من كبار المستشرقين البريطانيين. صاحب فكرة كتاب (تراث الإسلام) الذي أسهم فيه عدد من مشاهير البحث والاستشراق الغربي. وقد أشرف آرنولد على تنسيقه وإخراجه. تعلم في كمبردج وقضى عدة سنوات في الهند أستاذًا للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية. وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن. وصفه المستشرق البريطاني المعروف (جب) بأنه "عالم دقيق فيما يكتب، وأنه أقام طويلاً في الهند وتعرف إلى مسلميها، وأنه متعاطف مع الإسلام، وكل هذه أمور ترفع أقواله فوق مستوى الشهادات" (دراسات في حضارة الإسلام ص244). ذاع صيته بكتابيه: (الدعوة إلى الإسلام) الذي ترجم إلى كثر من لغة، و(الخلافة). كما أنه نشر عدة كتب قيمة عن الفن الإسلامي

[190] – نقلا عن قالوا عن الإسلام , إعداد / الدكتور عماد الدين خليل ص 40

[191] – بلاشير R. L. Blachere

ولد بالقرب من باريس، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء، وتخرج بالعربية في كلية الآداب بالجزائر (1922)، وعين أستاذًا لها في معهد مولاي يوسف بالرباط، ثم انتدب مديرًا لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط (1924–19359، واستدعته مدرسة اللغات الشرقية بباريس أستاذًا لكرسي الآداب العربي (1935–1951)، ونال الدكتوراه (1936)، وعين أستاذًا محاضرًا في السوربون (19389، ومشرفًا على مجلة (المعرفة)، التي ظهرت في باريس باللغتين العربية والفرنسية، من آثاره: دراسات عديدة عن تاريخ الأدب العربي في أشهر المجلات الاستشراقية، وكتاب (تاريخ الأدب العربي) (باريس 1952)، وترجمة جديدة للقرآن الكريم في ثلاثة أجزاء (باريس 1947–1952)، وغيرها

[192] – نقلا عن قالوا عن الإسلام , إعداد / الدكتور عماد الدين خليل ص 43

[193] –) د. فيليب حتى P. Hitti

ولد عام 1886م ، لبناني الأصل، أمريكي الجنسية، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت (1908م)، ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا (1915م)، وعين معيدًا في قسمها الشرقي (1915–1919)، وأستاذًا لتاريخ العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت (1919–1925)، وأستاذًا مساعدًا للآداب السامية في جامع برنستون (1926–1929م)، وأستاذًا ثم أستاذ كرسي ثم رئيسًا لقسم اللغات والآداب الشرقية (1929–1954م)، حين أحيل على التقاعد، أنتخب عضوًا في جمعيات ومجامع عديدة.

من آثاره: (أصول الدولة الإسلامية) (1916م)، (تاريخ العرب) (1927م)، (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين) (1951م)، (لبنان في التاريخ) (1961م)، وغيرها.

وقال أيضا :- ".. إن إعجاز القرآن لم يحل دون أن يكون أثره ظاهرًا على الأدب العربي. أما إذا نحن نظرنا إلى النسخة التي نقلت في عهد الملك جيمس من التوراة والإنجيل وجدنا أن الأثر الذي تركته على اللغة الإنكليزية ضئيل، بالإضافة إلى الأثر الذي تركه القرآن على اللغة العربية. إن القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية وصانها من أن تتمزق لهجات" [195]

* دي كاستري [196] قال : ".. إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظًا ومعنى. آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] فآمن برب قائلها، وفاضت "عين نجاشيّ الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى وصاح القسس أن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى [عليه السلام].. لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا. غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سببًا في معارضة تأثيره في عقول العرب. ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول: (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمدًا [صلى الله عليه وسلم] يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب.. لخر ساجدًا على الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نودّ الموت أو الانتصار).. وكيف يعقل أن النبي [صلى الله عليه وسلم] ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى
كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون.. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب..") [197]

4- دينيه [198] قال : "لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها، ذلك أنه مكن للغة العربية في الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] إلينا اليوم لكان

---

[194] - الإسلام منهج حياة ، ص 62 .

[195] - الإسلام منهج حياة، ص 287 - 288 .

[196] - (1) الكونت هنري دي كاستري (1850-1927)

مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي ردحًا من الزمن. من آثاره: (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (1950)، (الأشراف السعديون) (1921)، (رحلة هولندي إلى المغرب) (1926)، وغيرهما.

[197] - الإسلام : خواطر وسوانح ، ص 18 - 20 .

[198] - ايتين دينيه (1861 - 1929) Et. Dinet

تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضي في بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامه وتسمى بناصر الدين (1927)، وحج إلى بيت الله الحرام (1928).

من آثاره : صنف بمعاونة سليمان بن إبراهيم (محمد في السير النبوية)، وله بالفرنسية (حياة العرب)، و(حياة الصحراء)، و(أشعة خاصة بنور الإسلام)، و(الشرق في نظر الغرب)، و(الحج إلى بيت الله الحرام).

ميسورًا له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية، بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد.

وذلك عكس ما يجده مثلاً أحد معاصري (رابيليه) من أهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب إلينا من عصر القرآن، من الصعوبة في مخاطبة العدد الأكبر من فرنسيي اليوم" [199]

وقال أيضا : – ".. أحسّ المشركون، في دخيلة نفوسهم، أن قد غزا قلوبهم ذلك الكلام العجيب الصادر من أعماق قلب الرسول الملهم [صلى الله عليه وسلم] وكلهم كثيرًا ما كانوا على وشك الخضوع لتلك الألفاظ الأخاذة التي ألهمها إيمان سماوي، ولم يمنعهم عن الإسلام إلا قوة حبهم لأعراض الدنيا.." [200]

وقال أيضا :– "إن معجزة الأنبياء الذين سبقوا محمدًا كانت في الواقع معجزات وقتية وبالتالي معرضة للنسيان السريع. بينما نستطيع أن نسمي معجزة الآيات القرآنية: (المعجزة الخالدة) وذلك أن تأثيرها دائم ومفعولها مستمر، ومن اليسير على المؤمن في كل زمان وفي كل مكان أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون لأنهم يجهلون القرآن، [201]

وقال أيضا : "إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه، يحدث مثل هذا التّأثير في [نفوس علماء] لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التي تستهوي عرب الحجاز وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة؟.. لقد كانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتملك نفوسهم انفعالات هائلة مباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم قد سمِّروا فيه. أهذه الآيات الخارقة تأتي من محمد [صلى الله عليه وسلم] ذلك الأمي الذي لم ينل حظًا من المعرفة؟.. كلا إن هذا القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد، وأنه لا مناص من الاعتراف بأن الله العلي القدير هو الذي أملى تلك الآيات البينات.." [202]

وقال أيضا :"لا عجب أن نرى النبي الأمي يتحدى الشعراء، ويعترف لهم بحق نعتهم له بالكذب، أن ائتوا بعشر سور من مثله، فقد آمن بعجزهم عن ذلك" [203]

5 – ريسلر [204] قال :".. لما كانت روعة القرآن في أسلوبه فقد [أنزل] ليقرأ ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية. ويجب أن تقرأه في لغته التي كتب بها لتتمكن من تذوق جماله وقوته وسمو صياغته. ويخلق نثره الموسيقى والمسجوع سحرًا مؤثرًا في

---

[199] أشعة خاصة بنور الإسلام ، ص 35

[200] محمد رسول الله ، ص 106 .

[201] المصدر نفسه ، ص 118 .

[202] المصدر نفسه ص 119 – 121 .

[203] المصدر نفسه ، ص 121 .

[204] جاك . س . ريسلر J. S. Restler باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس.

النفس حيث تزخر الأفكار قوة وتتوهج الصور نضارة. فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في إشعارنا بأن محمدًا [صلى الله عليه وسلم] كان ملهمًا بجلال الله وعظمته" [205]
وقال أيضا :"كان في القرآن فوق أنه كتاب ديني خلاصة جميع المعارف.. وظل زمنًا طويلاً أول كتاب يتخذ للقراءة إلى الوقت الذي شكل فيه وحدة كتاب المعرفة والتربية. ولا يزال حتى اليوم النص الذي تقوم عليه
أسس التعليم في الجامعات الإسلامية. ولا تستطيع الترجمات أن تنقل ثروته اللغوية (إذ يذبل جمال اللغة في الترجمات كأنها زهرة قطفت من جذورها) ولذلك يجب أن يقرأ القرآن في نصه الأصلي" [206]
6 – سارتون [207] قال : "[إن] لغة القرآن على اعتبار أنها اللغة التي اختارها الله جل وعلا للوحي كانت، بهذا التحديد، كاملة... وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد،.. [وجعل منها] وسيلة دولية للتعبير عن أسمى مقتضيات الحياة" [208]

الوجه الثالث عشر من الإعجاز اللغوي: جمعه لعلوم لغوية بصورة معجزة إختص بها

ا – قال السيوطي (وقال آخرون: هوكونه جامعًا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها أه.) [209]
قال القاضي عياض (ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.قال: وهذا الوجه داخل في بلاغته فلا يجب أن يعد فنًا مفردًا في إعجازه)[210]
ب – كل ما فيه من علوم لغوية جزء منه لا تنفصل عنه منها القصص , الأمثال

---

[205] الحضارة العربية ، ص 30 – 31 .
[206] المصدر نفسه، ص 45 .
[207] جورج سارتون (1884 – 1956) G. Sarton
ولد في بلجيكا، وحصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية والرياضية (1911)، فلما نشبت الحرب رحل إلى إنكلترا، ثم تحول عنها إلى الولايات المتحدة، وتجنّس بجنسيتها فعين محاضرًا في تاريخ العلم بجامعة واشنطن (1916)، ثم في جامعة هارفارد (1917–1949). وقد انكب على دراسة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت (1931–1932) وألقى فيها وفي كلية المقاصد الإسلامية محاضرات ممتعة لتبيان فضل العرب على التفكير الإنساني، زار عددًا من البلدان العربية، وتمرس بالعديد من اللغات، ومنح عدة شهادات دكتوراه كما انتخب عضوًا في عشرة مجامع علمية وفي عديد من الجمعيات العالمية، وأشرف على عدد من المجلات العلمية.
من آثاره: خلف أكثر من خمسمائة بحث، وخير تصانيفه وأجمعها: (المدخل إلى تاريخ العلم) في خمسة مجلدات (1927، 1931، 1947).
[208] الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ، ص 37 – 38 .
[209] الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ج 4 ص 312 ط دار الحديث القاهرة 1427 هـ
[210] المصدر نفسه: السيوطي ج 4 ص 312 ط دار الحديث القاهرة 1427 هـ

الوجه الرابع عشر من الإعجاز اللغوي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة

ومن أشهر من قال ذلك الرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)

قال الرماني: وجوه إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفة والبلاغة .....ونقض العادة وقياسه بكل معجزة.

الناس مولعون بتقليد الجميل , ما الذي منعهم من تقليد القرآن

قال د. دراز [211] (وما ذلك إلا أن فيه منعة طبيعية كانت وما زالت تكف أيديهم عنه , تتمثل أول ما تتمثل في غريب تأليفه , وما اتخذه في رصف حروفه وكلماته وجملهوآياته من نظام له سمت واحد خرج عن كل نظم تعاطاه الناس , أو يتعاطونه , ولهذا لم يجدوا سبيلا يسلكونه في إلي تذليل منهجه , وآية ذلك أن أحدا لو حاول أن يدخل عليه شيئا من كلام الناس لأفسد بذلك مزاجه عند كل قارئ , ولجعل نظامه يضطرب في أذن كل سامع , وأذن لنا علي نفسه بانه دخيل واغل , ولنفاه القرآن عن نفسه كما ينفي الكير خبث الحديد)

التحدي [212]

ا – معظم آيات التحدي نزلت في زمن ضعف المسلمين!! فعندما ادعى المشركون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو من تقوّل القرآن، أجابهم الله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[213] وهذه الآية نزلت في مكة المكرمة في بدايات الدعوة.

ب – عندما اتهم الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كذب على الله وافترى عليه القرآن، أمر الله حبيبه محمداً أن يرد عليهم ويطلب منهم –وهم أرباب البلاغة– أن يأتوا بسورة واحدة مثل القرآن. يقول تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[214] وهذه الآية نزلت في مكة المكرمة أيضاً في مرحلة ضعف المسلمين.

ج – نزول آيات التحدي في بدايات الدعوة هو دليل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان محمد هو الذي ألّف القرآن إذن فالأجدر به أن ينتظر حتى يصبح قوياً ثم يتحدى!! فالضعيف لا يمكن أن يتحدى أحداً، ولكن النبي الكريم كان قوياً لأن الله معه!

د – القرآن الكريم قد عرض أقوال أعدائه وحججهم منذ بداية نزوله، وهذا دليل إضافي على أن القرآن ليس من قول الرسول. ونحن لا نعلم أبداً في التاريخ رجلاً واحداً بدأ دعوته بالتحدي، ولا نعلم أن أحداً

---

[211] – نقلا عن (الإعجاز القرآني وجوهه و أسراره د . عبد الغني محمد سعد . ط مكتبة الوهبة 1989 م)

[212] للإستزادة راجع , خواطر محمد متولي الشعراوي

[213] الطور 34

[214] يونس 38

عرض في كتابه أقوال معارضيه بصورة كاملة، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا لبحث منذ اللحظة الأولى عن مؤيدين له بغض النظر عن معتقداتهم، كما يفعل أي إنسان يبتغي الشهرة والمال والجاه.

ب – القرآن يرد علي منكريه :

1– ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[215]

2– ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[216]

3– ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾.[217]

4– ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.[218]

5– ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[219]

نلاحظ أنه لدينا خمس أسئلة وهي ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ولدينا خمس إجابات كما يلي:

1– تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثل القرآن فقال في الآية الأولى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾.

2– تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن، فقال في الآية الثانية ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾.

3– بيَّن لهم أن الرسول لو كان كاذباً فإنما كذبه على نفسه ولن يضرهم شيئاً، فقال في الآية الثالثة: ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾.

4– بيَّن لهم أن كلامهم غير صحيح وأن القرآن حق من عند الله تعالى، فقال في الآية الرابعة: ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.

5– بين لهم أنه لو كذب على الله فمن يحميه من الله؟؟ فقال في الآية الخامسة والأخيرة:﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

نلاحظ أن الآيات الخمس نزلت بمكة أي في مرحلة ضعف المسلمين وقلة عددهم، وهذا أبلغ أنواع التحدي أن تتحدى الكفار وليس معك أحد إلا الله تعالى

من عارض القرآن بقرآن من عنده ، أشهرهم :

1 – مسيلمة الكذاب

ا – يا ضفادع كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين .

---

[215] يونس 38

[216] هود 13

[217] هود 35

[218] السجدة 3

[219] الأحقاف 8

وفي ذلك يقول الجاحظ (ولا أدري ما الذي هيج مسيلمة علي ذكرها , ولم أساء رأيه فيها حتي جعل بزعمه فيها فيما أنزل عليه من قرآنه يا ضفدع كم ..... [220]

ب – والمبذرات زرعا؛ والحاصدات حصدا؛ والذريات قمحا؛ والطاحنات طحنا؛ والحافرات حفرا؛ والخابزات خبزا؛ والثاردات ثردا؛ واللاقمات لقما؛ لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر؛ ريفكم فامنعوه؛ والمعتر فآوه؛ والباغي فناوئوه.

يقلد السورة الكريمة (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا 1 وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا 2 وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا 3 فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا 4 فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا 5 .....) [221]

ج – ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وأحشا.. ومن ذكر وأنثى

د – ولليل الدامس؛ والذئب الهامس؛ ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس.

ي – ألم تر أن الله خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا فنولج فيهن الغراميل إيلاجا ثم نخرجها إخراجا فينتجن لنا سخالا إنتاجا.

ب – الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل..

يقلد السورة الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ 1 أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ 2 وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ 3 تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ 4 فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ 5 ﴾[222]

ف – إ نا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر إن مبغضك رجل فاجر

ع – انا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر واحذر أن تحرص أو تكاثر..

يقلد سورة الكوثر ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ 1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ 2 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ 3 ﴾[223]

ثم علق الرافعي رحمه الله (وكل كلامه علي هذا النمط واه سخيف لا ينهض ولا يتماسك و بل هو مضطرب النسج مبتذل المعني مستهلك من جهتيه) [224]

2 – طليحة الأسدي من معارضي للقرآن

روى سهل بن يوسف قال: أخذ المسلمون رجلاً من بني أسد فأتى به خالد بالغمر . وكان عالماً بأمر طليحة . فقال له خالد: حدثنا عنه، وعما يقول، فزعم أن مما أتى به (والحمام واليمام والصرد الصوام، قد صمن قبلكم بأعوام، ليبلغ ملكنا العراق والشام).

3 – ذكر بعض الرواة أن الشاعر أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي (ت 354 هـ) ، عارض القرآن بمائة وأربع عشرة عبرة، منها : ((والنجم السَّيار)) والفلك الدوار، والليل والنهار إن الكافر لفي أخطار،

---

[220] إعجاز القرآن , الرافعي ص 137

[221] سورة النازعات 1 : 5

[222] سورة الفيل

[223] سورة الأبتر

[224] إعجاز القرآن : الرافعي ص 138

إمضِ على سننك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه، وضل عن سبيله)).

قال الرافعي (ونحن لاى نمنع أن يكون للرجل شيء من هذا ومثله , ... ولم يكن المتنبي كاتبا , ولا بصيرا بأساليب الكتابة وصناعتها ووجوهها , ولا هو عربي قح من فصحاء البادية , وإن كان في حفظ اللغة ما هو , فليس يمنع سقوط ذلك الكلام الذي نسب إليه) [225]

4 – أبي العلاء المعرى، وقد قالوا إنه عارض القرآن بكتابه (الفصول والغايات) وقد اختار صاحب معجم الأدباء الكلمتين الآتيتين: .

ا . ((أقسم بخالق الخيل ، والريح الهابة بلَيْل، ما بين الأشراط ومطالع , سهيل، إن الكافر لطويل الويل، وان العمر لمكفوف الذيل، اتق مدارج ، وطالع التوبة من قبَيْل ، تنج، وما أخالك بناج)).

ب . ((أذلت العائذة أباها، وأصاب الوحدة وربّاها، والله بكرمه اجتباها، أولاها الشرف بما حباها، أرسل الشمال صباها، ((ولا يخاف عقباها))، وقد ذكروا أنه قيل له: ما هذا إلا جيد غير أنه ليس عليه طلاوة القرآن.

قال: حتى تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة، وعند ذلك انظروا كيف يكون.

الوجه الخامس عشر من الإعجاز اللغوي: حفظه من التحريف

ا – قال القاضي عياض : ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه [226]

ا– وقد تعاقبت الأجيال جيلا بعد جيل تتلو كتاب الله وتتدارسه بينهم ، فيحفظونه ويكتبونه ، لا يغيب عنهم حرف ، ولا يستطيع أحد تغيير حركة حرف منه ، ولم تكن الكتابة إلا وسيلة من وسائل حفظه وإلا فإن الأصل أن القرآن في صدورهم .

ب– وإن تحدَّث القرآن عن أشياء غيبية مستقبلية ، أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ليبيِّن أنه من عند الله ، وأن البشر لو أرادوا كتابة كتاب فإنهم قد يبدعون في تصوير حادث ، أو نقل موقف ، لكن أن يتحدث أحدهم عن أمر غيبي فليس له في هذا المجال إلا الخرص والكذب ، وأما القرآن فإنه أخبر عن هزيمة الروم من قبل الفرس ، وليس هناك وسائل اتصال تنقل لهم هذا الحدث ، وأخبر في الآيات نفسها أنهم سيَغلبون فيما بعد في مدة معينة ، ولو أن ذلك لم يكن لكان للكفار أعظم مجال للطعن في القرآن .

---

[225] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : الرافعي , ط دار المنا ر 1997ص145

[226] الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ج 4 ص 312 ط دار الحديث القاهرة 1427 هـ

ج- ولو جئت إلى آية من كتاب الله تعالى فذهبت إلى أمريكا أو آسيا أو أدغال أفريقيا أو جئت إلى صحراء العرب أو إلى أي مكان يوجد فيه مسلمون لوجدت هذه الآية نفسها في صدورهم جميعاً أو في كتبهم لم يتغير منها حرف .

الوجه السادس عشر من الإعجاز اللغوي: اللفظ و المعني كأنهما روحان يمتزجان لا يطغي احدهما علي الآخر

ونجد هذا الإعجاز واضحا جليا في القرآن الكريم كله , مما صح من القرآت , ونجد العجز جليا عند كبار الشعراء و الأدباء , فمن المشهور عند فحول الشعراء وضع لفظة لا يريدها للحفاظ علي القافية , وبالتالي نجد إخلالها بالمعنى , وذلك متناثر في كتب الأدب و النقد .

الوجه السابع عشر من الإعجاز اللغوي : نزوله علي سبعة أحرف

القرآن نزل على حرف واحد أول الأمر ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل يستزيد جبريل حتى أقرأه على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ والدليل على ذلك حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى على سبعة أحرف " [227]

ا - **معنى الأحرف** : (سبعة أوجه من القراءة تختلف باللفظ وقد تتفق بالمعنى وإن اختلفت بالمعنى : فاختلافها من باب التنوع والتغاير لا من باب التضاد والتعارض). [228]

ومعنى " حرف " في اللغة : الوجه ، قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾[229].

ب - اختلف العلماء في تفسير معنى هذه الأحرف حتى قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى : (أنها وصلت إلى أكثر من أربعين قولاً) وأكثر هذه الآراء متداخل

ج - ذهب أكثرالعلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني فيأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أوأكثر .

قال السيوطي رحمه الله تعالى : (واختلفوا في تحديد اللغات السبع فقيل : هي لغات قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ،وتميم ، واليمن ، وقيل غير ذلك) .

---

[227] رواه البخاري (3047) ومسلم (819) .

[228] راجع , الأحرف السبعة : الداني

[229] الحج 11

فربما أدخل البعض لهجات أخرى في هذه المذكورات و أخرج غيرها منها ، وقد تتداخل أكثر من لهجة مع بعضها في كيفية النطق ببعض الكلمات .

ج – تحديد القراءات السبعة فهي ليست من تحديد الكتاب والسنة ولكنها من اجتهاد ابن مجاهد رحمه الله فظن الناس أن الأحرف السبعة هي القراءات السبعة لاتفاقها في العدد

نزوله منجما في نيف وعشرين عاما , وجاء كله علي درجة واحدة من التماسك والفصاحة والجلال , ...إلخ

وهذا مما يعجز عنه البشر

قال السيوطي في الإتقان [230] : (نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة.

ومعنى نزوله منجماً أنه نزل مفرقاً أي لم ينزل دفعة واحدة، وإنما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مجزءاً حسب الوقائع والأحداث، والعرب تقول للمفرق: منجَماً.

وأما لماذا نزل كذلك، ولم ينزل دفعة واحدة؟ فقد تولى الله جواب ذلك، فقال سبحانه ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَة ﴾.[231]

قال السيوطي : يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل. فأجابهم الله بقوله "كذلك" أي أنزلناه كذلك مفرقاً "لنثبت به فؤادك" أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز؟، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة[232]

الوجه الثامن عشر من الإعجاز اللغوي: إرضاؤه للعقل والعاطفة :

يخاطب العقل و القلب في آن واحد فلا يطغي أحدهما علي الآخر

وعلي سبيل المثال آيات وصف الجنة ومنها قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَـفِرِينَ النَّارُ ﴾[233]، وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ

---

[230] الإتقان ج 1 ص 126 ط المكتبة التوفيقية

[231] الفرقان 32

[232] الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ج 1 ص 138 و ما بعدها ط دار الحديث القاهرة 1427

[233] الرعد: 53

وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ ﴾[234]، وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَـبِهاً وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾[235]

وقال تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِـَانِيَةٍ مِّن فِضَّـةٍ وَأَكْوابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ * قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّـةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾[236] ، وقال تعالى: ﴿ فِـي جَنَّـةٍ عَالِيَـةٍ * لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَـةً * فِيهَـا عَيْنٌ جَارِيَـةٌ * فِيهَـا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾.[237]

وقال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[238]

فالعقل يتمتع بالوصف العظيم وما فيه من روائع حيرت البلغاء والباحثين مما حيرهم جيلا بعد جيل , والعاطفة تتمتع بهذه الأوصاف الجميلة و التي تاسر النفس وتجعلها أسيرة لهذه المتع العاطفية بلا كلل أو ممل , والقرآن كله علي هذا الإمتاع العاطفي والعقلي , فسبحان الله رب العالمين .

الوجه التسع عشر من الإعجاز اللغوي : إرضاؤه للعامة والخاصة

قال محمد عبد العظيم الزرقاني في (مناهل العرفان)[239]إرضاؤٌ العامة والخاصة ومعنى هذا أن القرآن الكريم إذا قرأته على العامة أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم وكذلك الخاصة إذا قرؤوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام لا في إشراق ديباجته ولا في امتلائه وثروته ولا كذلك كلام البشر فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة لم يرض العامة لأنهم لا يفهمونه وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة لم يرض الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم .

---

234 [محمد: 15

235 البقرة: 25

236 الإنسان: 14 .20

237 الغاشية: 10 16

238 الحج: 23

239 مناهل العرفان ج 2 ص 225 ط دار الفكر

الوجه العشرون من الإعجاز اللغوي: عجز الرسول صلي الله عليه وسلم عن الإتيان ببدل له

قال الحافظ إبن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالي ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمم ﴾[240]

يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين المعرضين عنه أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحجته الواضحة قالوا له ائت بقرآن غير هذا أي رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر أو بدله إلى وضع آخر قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي " أي ليس هذا إلي إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله " وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[241]) [242]

الوجه الواحد والعشرون من الإعجاز اللغوي : الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم [243]

نشطت الجهود لتتبع الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، للكشف عن أسرار هذا الكتاب المعجز، في نظمه ولفظه وصوته.. المعجز في معانيه، المعجز في أثره..الخ.

و الخطوط العريضة للإعجاز الصوتي ما يلي :

1 – أثر صوتيات القرآن الكريم في الاستقرار الصوتي للغة العربية.

2– الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى.

3 – قضية التناسق الصوتي على مستوى اللفظ والصوت المفرد والتركيب في القرآن الكريم.

أولاً: أثر صوتيات القرآن الكريم في الاستقرار الصوتي للغة العربية:

كان التلقي الشفاهي هو الأساس في نقل القرآن الكريم، بداية من سيدنا جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وصولاً إلى زماننا المعاصر، وهكذا إلى أن تقوم الساعة.

---

[240] يونس 16

[241] يونس 15

[242] تفسير القرآن العظيم , تفسير سورة النساء

[243] الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم , د/ محمد محمد داود , أستاذ الدراسات اللغوية والإسلامية بكلية التربية جامعة قناة السويس

لهذه الخاصية (المشافهة) آثار تصل إلى حد الإعجاز، لكن إلف العادة هو الذي يمنعنا أو يحجب عنا ملاحظة نواحي الإعجاز. ولكن إذا ما قورنت العربية بغيرها من اللغات وما حدث لها . يظهر أثر القرآن على الاستقرار الصوتي للغة العربية. ويمكن إجمال الأثر في العناصر التالية:

ثانياً: الفاصلة بين التناسق الصوتي ورعاية المعنى : نود هنا . بدايةً . توضيح ملاحظة تتصل بأدب السلف من صالحي هذه الأمة، حيث أطلقوا على نهايات الآيات القرآنية تسمية (رءوس الآيات)، تمييزاً لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففي الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفي النثر نقول بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها : رأس، أي مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهي ولا يهبط أبداً، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن قمم يرقى القارئ إليها، وكلما مضى في القراءة ازداد رقياً، فهو صاعد أبداً، حيث يقال لقارئ القرآن : (أقرأ وارق، فأن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) ..

ومعلوم أن رءوس الآيات توقيفية، أي كما جاءت بالتلقي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والملاحظ في رءوس الآيات التناسب الصوتي الذي يلفت الانتباه وتستريح له الآذان إلى حد يأخذ بالنفس، ولعله كان أحد الأسباب التي جعلت الوليد يقول بعد سماعه القرآن: (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة) وهما من حس اللسان وحسن الأذن. وإذا ما أحببت محاولة الكشف عن الظاهرة بأسلوب علمي، وذلك بتتبع أصوات الحروف والحركات التي تكوّن هذه الفواصل، بهذا التناسق الصوتي المبدع، فإننا نلاحظ التالي : كثرة ورود الحركات، وبخاصة الطويلة [حروف المد: الألف والواو، والياء]، بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام، يضاف إلى هذا كثرة ورود الصوامت المتوسطة(النون . الميم . الراء . الواو . الياء)، وهي قريبة . من الناحية الفيزيائية . إلى طبيعة الحركات، التي تسهم في خاصية التنغيم الشجيّ بشكل واضح. يدعم هذا ظواهر صوتية خاصة بالقرآن: المد والغنّة . وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد في غير القرآن من فنون الشعر والنثر.

سؤال اعتراضي :هل هذا التناسب الصوتي هو من قبيل السجع، حيث يتوالى الكلام المنثور على حرف واحد، ليكتسب النثر ضرباً من الموسيقى والنغم؟ وهل هو من قبيل القافية في الشعر؟

والجواب:لا هذا ولا ذالك، فالفاصلة في القرآن ليست على وتيرة واحدة، كما هو الحال في كل من السجع والتقفية، فهي لا تلتزم شيئاً من ذلك، حيث تجري في عدد من آيات القرآن على نمط، ثم يتحول عنه إلى نمط آخر، ومن خلال جريها على نمط واحد، فأغلب ما تقوم عليه هو حرف المد.

يقول الله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ {1} بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ {2} أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ {3} قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ {4} بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ{5} أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [244]

[244] ق1_6

والفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره، ليس فقط رعاية للتناسق الصوتي، بل رعاية للمعنى أيضاً، وهذا هو الإعجاز.

الأمثلة :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[245]، فإن قلت: لم قدم العبادة على الاستعانة؟ أجابك اللغويون أصحاب الحس المرهف، وعلى رأسهم الزمخشري، حيث قال : (هو من تقديم العلة على المعلول).

وقال أبو السعود: (هو من باب تقديم الشرف).

وقوله تعالى :﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾[246]، لماذا قدم الآخرة على الأولى؟

والجواب أن ذلك مرتبط بسياق السورة ومقصدها، فقد قامت السورة لتأكيد سوء العاقبة والإنذار لمن كذب وأعرض بالتنكيل به في الآخرة، في مقابل الثواب الذي ينتظر من أحسن وتصدق، فإذا ما تحقق مع هذا المعنى الانسجام الصوتي وتناسب الإيقاع في الفواصل، فذلك لا يتم على هذا الوجه من الكمال في غير هذا النظام القرآني المعجز.

ومن قال بالتقديم لرعاية الفاصلة فقط، فهو قصور عن فهم المعنى المراد، فالتقديم والتأخير يرتبطان بالسياق والمعنى المراد.

أيضاً الترتيب في تقديم الصفات الخاصة بالله تبارك وتعالى، أو الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . مرتبط بالسياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[247]

، وقال تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[248]

فقدم الرحمة في آية سبأ، لأنها منشأ المغفرة. أما الغفور فتقدم في كل موضع في القرآن فيه ولو إشارة إلى وقوع المعاصي وكفران النعم.

ثالثاً: التناسق الصوتي على مستوى اللفظ والصوت والمفرد والتركيب في القرآن الكريم:

أول ما يلفت الانتباه هو إن القرآن الكريم قد خلا من التنافر في بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد سجلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني : أن يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، وإليك هذه الأمثلة.

---

[245] الفاتحة 5

[246] الليل 13

[247] سبأ 2

[248] الحجرات 14

(1) التناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة: من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على التردي الجماعي، أو المبالغة في التثاقل، أو الاستعصاء على الهدى، من ذلك قوله تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ ﴾[249]

أصل الفعل (تداركوا) وقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فلما سكنت جئ بهمزة الوصل، والتشديد يوحي هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضاً قبل أن يتردوا فيها، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة. ويشبه هذا إيحاء التكرار في قوله تعالى:﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾[250]

ومن هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾[251] , أيضاً ما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث او الصفة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[252]

فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى التفخيم (تصبح طاء) ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في الفعل . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾[253]

و(ضيزى) تعني : جائزة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقق غرضين هما: رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء . بماء في الضاد من تفخيم . إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه.

قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾.[254]

والصيب : النزول الذي له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لما أنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية (المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكاب.

(2) التناسب بين إيحاء الصوت ومعنى الكلمة:

ومن التناسب بين إيحاء الصوت والدلالة المقصودة للكلمة قوله تعالى : ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾[255]

---

[249] الأعراف: 38

[250] الشعراء 94

[251] التوبة 38

[252] فاطر 37

[253] النجم 22

[254] البقرة 19

[255] الإنسان. 7.

حيث يوحي لفظ السلسبيل بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بين اللفظين (سلسبيل/سلاسة) من شركة في بعض الحروف. هذا في مقابل الإيحاء في جهة الضد للمعنى السابق، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾[256] , حيث أن مادة (غسق) في القرآن الكريم منها الغسق، والغاسق والغساق . توحي أن القسط المشترك بين هذه المشتقات الدلالة على أمور كريهة، فالغسق :الظلمة، والغاسق: الليل الشديد الظلمة، والغساق : شئ كريه لا يشرب، وفسروه بالصديد، وتستفاد هذه الدلالة لغوياً من إيحاء الغين والقاف هنا. ومثله في التفسير قوله تعالى :﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾[257]، وقوله تعالى :﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾[258]، والضريع نبات شوكي. وإيحاء لفظ (ضريع) في الطعام يفيد ذلاً يؤدي إلى تضرع كل منهم وسؤال الله العفو عن ذلك. يقابله في المعنى على الجهة الأخرى قوله تعالى :﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾[259]،﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾.[260]

أوجه أخرى في القرآن الكريم:

(إعجاز رسم القرآن – ما أقحمه البعض من خزعبلات حول إعجاز ترتيب فواتح السور و الإعجاز العددي فأدخلوا في القرآن ماليس فيه – الصرفة – القدر المعجز من القرآن)

أولا : إعجاز رسم القرآن

معنى رسم القرآن[261] :

الرسم في اللغة: الأثر أي: أثر الكتابة في اللفظ،وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها و الوقوف عليها.

وفي اصطلاح العلماء: – الرسم هو الوضع الذي ارتضاه سيدنا عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن و حروفه. فالأصل في المكتوب موافقته للمنطوق،لكن ذلك أهمل في المصاحف العثمانية لأغراض تأتي لاحقا.

ثانيا : ما أقحمه البعض من خزعبلات حول إعجاز ترتيب فواتح السور و الإعجاز العددي فأدخلوا في القرآن ماليس فيه مثل :

-**مصطلح الإعجاز العددي** يتألف من ركنين أساسين:

---

[256] النبأ 25

[257] المطفيين7

[258] الغاشية 6

[259] المطففين18.

[260] يوسف15

[261] راجع رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاح ، د.شعبان محمد اسماعيل،الثقافة،الدوحة . قطر،الطبعة الأولى1992 .

أولهما: أن يكون أمراً معجزاً ليس في مقدور البشر المجيء بمثله.
الثاني: أن يكون الأمر المعجز معتمدا على الأرقام والأعداد.
يجب التنبيه أن الإسلام لم يدلنا علي طريقة إستنتاج أحداث أو أي أمر من تلقاء أنفسنا بل الشرع بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة , بفهم علماء السلف الصالح .
هذا المصطلح قد أحاط ظهوره في العصر الحديث كثير من الدخل والدخن؛ فالحسابات العددية ارتبطت بالبهائية , و غيرها .
وما أجمل ما ذكره سيد قطب رحمه الله [262] (وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها... كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه!.
إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها... لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكتشف هذه المعلومات وينتفع بها.. والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان. والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان –بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره– كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه. وبعد أن يوجد الإنسان السليم التصور والتفكير والشعور، ويوجد المجتمع الذي يسمح له بالنشاط، يتركه القرآن يبحث ويجرب، ويخطئ ويصيب، في مجال العلم والبحث والتجريب. وقد ضمن له موازين التصور والتدبر والتفكير الصحيح.
كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن أحيانا عن الكون في طريقة لإنشاء التصور الصحيح لطبيعة الوجود وارتباطه بخالقه، وطبيعة التناسق بين أجزائه.. لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن بفرض العقل البشري ونظرياته، ولا حتى بما نسميه (حقائق علمية) مما ينتهي إليه بطريق التجربة القاطعة في نظره.
إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني –أيا كانت الأدوات المتاحة له– فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها... فمن الخطأ المنهجي –بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته– أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية. وهي كل ما يصل إليه العلم البشري.
هذا بالقياس إلى (الحقائق العلمية)... والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى (علمية).. ومن
هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية، وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره، وكل النظريات الخاصة بنفس الإنسان وسلوكه.. وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها... فهذه كلها ليست (حقائق علمية) حتى بالقياس الإنساني. وإنما هي نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح

[262] في ظلال القرآن ج 1 ص 180– 182 طبعة دار الشروق

لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية، وإلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرا أكبر من الظواهر، أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق! ومن ثم فهي قابلة للتغيير والتعديل والنقص والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب، وبظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة!.

وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة –أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسفلنا– تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي. كما أنها تنطوي على معانٍ ثلاثة كلها لا يليق بالقرآن الكريم:

المعنى الأول: الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم. على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه، والعلم لا يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق؛ لأنه مقيد بوسع الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

والمعنى الثاني: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق –بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية– مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي؛ حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعض أسراره، ويستخدم بعض نواميسه في خلافته. نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة!.

والمعنى الثالث:

هو التأويل المستمر –مع التمحل والتكلف– لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يوجد جديد، وكل أولئك لا يتفق وجلال القرآن، كما أنه يحتوي على خطأ منهجي، كما أسلف الذكر.

ثالثا : – الصرفة

الصرفة لغة :على وزن فعلة– بفتح الفاء واللام وسكون العين–:رد الشيء عن وجهه ، يقال: صرفه يصرفه ، صرفا ، فانصرف ، وصارف نفسه عن الشيء :صرفها عنه . قال تعالى : ﴿ ثم انصرفوا ﴾ أي: رجعوا عن المكان الذي استمعوا منه ، وقيل :– انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا . وقوله تعالى : ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾[263]أي :– أضلهم الله مجازاة على فعلهم ، وصرفت الرجل عني فانصرف.[264]

---

[263] سورة التوبة / 127

[264] ابن منظور : لسان العرب –ج7/ صفحة328 (مادة صرف)

الصرفة في الاصطلاح : أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن ، وكانت في مقدورهم ، لكن عاقهم عنها أمر خارجي ، فصار معجزة كسائر المعجزات ، ولو لم يصرفهم عن ذلك ، لجاءوا بمثله يعزى القول بالصرفة عند كثير من الباحثين، إلى أنه من التيارات التي وفدت علينا من الخارج ، وأن بعض المتفلسفين من علماء الكلام ، وقفوا على أقوال البراهمة في كتابهم الفيدا[265] ، وهو يشتمل على مجموعة من الأشعار ، ليس في كلام الناس ما يماثلها –في زعمهم –، بل يقول خاصتهم : إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثله ، لأن براهما[266]صرفهم عن أن يأتوا بمثلها ، يقول أبو الريحان البيروني (ت سنة 430هـ) في كتابه ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ما نصه : (إن خاصتهم يقولون إن في مقدورهم أن يأتوا بأمثالها ، ولكنهم ممنوعون عن ذلك احتراما لها) [267]

القائلون بالصرفة من المعتزلة :

النظام :(ابراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري ت سنة 221هـ) ، فهو أول من جاهر بالقول بالصرفة، ترجم له أبو منصورعبد القاهر البغدادي (ت 424هـ)– في كتابه : (الفرق بين الفرق) ، عند ذكره الفرقة النظامية ، فقال : (عاشر النظام في شبابه قوما من الثنوية [268] وقوما من السمنية [269]، وخالط قوما من ملاحدة الفلاسفة ، ثم دون مذاهب الثنوية ، وبدع الفلاسفة ، وشبه الملاحدة في دين الإسلام، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف ، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه) . ثم قال : (والفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه – أي النظام –: أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ، ليست بمعجزة للنبي – عليه الصلاة والسلام ..... فإن العباد قادرون على مثله ، وعلى ما هو أحسن منه في النظم ، والتأليف) [270]

نسبت الصرفة إلي البعض –على سبيل الفرض والاحتمال– : كالرازي ، ومنهم من عدها وجها من وجوه الإعجاز ، مثل :– الاسفراييني ، والراغب الأصفهاني ، والماوردي، وابن حزم الأندلسي الظاهري ، ، والغزالي .

---

[265] الفيدا : كتاب يشمل أربعة كتب مقدسة للهندوس ، وقد كتب باللغة السنسكريتية محمد غلاب : مشكلة الألوهية – ص97.

[266] براهما :من آلهة الهندوس ، وهو عندهم مرادف للمطلق الأعلى أو (الأتمان)

[267] نقلا عن د. عرفة بسيوني : فكرة النظم في تطورها وأهدافها ، ص 35

[268] الثنوية : قوم يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان . الشهرستاني : الملل والنحل: ص / 80 بهامش الفصل

[269] السمنية : فرقة بوذية هندية قالت بقدم العالم وبتناسخ الأرواح – . البغدادي :الفرق بين الفرق – ص270. وخالد العلي، الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ص13.

[270] البغدادي : الفرق بين الفرق (مرجع سابق) ص 128– 150(بتصرف يسير).

وعدها البعض من وجوه الإعجاز مثل :

الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد ت 425هـ) كذلك وجها من وجوه الإعجاز ، فقال : -(اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين ، أحدهما : إعجاز يتعلق بنفسه ، والثاني : بصرف الناس عن معارضته ، إلى أن يقول : فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة ، الذين يهيمون في كل واد من المعاني - بسلاطة لسانهم - إلى معارضة القرآن ، وعجزوا عن الإتيان بمثله ، ولم يقصدوا لمعارضته ، فلم يخف على ذوي البلاغة أن صارفا إلهيا صرفهم عن ذلك ، وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن معارضة مصروفة في الباطن عنها.)[271]

المفاهيم المختلفة في القول بالصرفة :

المفهوم الأول : مفهوم النظام ومن تابعه، فقد ذهبوا إلى أن العرب صرفوا عن المعارضة جبرا ، ولم يتوجهوا إليها ، ولو توجهوا لاستطاعوا الإتيان بمثل القرآن ، وهذا المذهب ينفي عن القرآن الإعجاز

والمفهوم الثاني : قال به الشريف المرتضى ، وابن سنان الخفاجي، ومن تابعهما ، فقد ذهبوا إلى أن الله سلب من العرب علومهم التي يحتاجون إليها في معارضة القرآن ، والإتيان بمثله ، ولو توجهوا لمعارضته ، لما استطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن .

المفهوم الثالث : وهو مفهوم الجاحظ ، والرماني لها ، وهولا يقدح في إعجاز القرآن ، بل هو ضرب من التدبير الإلهي ، فصرف نفوس العرب وأوهامهم عن معارضة القرآن ، ليحفظه من عبث العابثين

المفهوم الرابع : وهو ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار ، حيث رفض المفاهيم السابقة للصرفة ، واعتبر أن الصرفة مرتبطة بالقوم أنفسهم ، وليست شيئا خارجا عنهم ، أو مفروضة عليهم فرضا ، بل إن دواعيهم انصرفت عن المعارضة ، لعلمهم أنها غير ممكنة ، فهي في الواقع انصراف ، وليست صرفة .

الرد علي القائلين بالصرفة [272] :

ا - قال الخطابي :(أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم ت388هـ) :- إن قوما ذهبوا الى أن العلة في إعجازه - أي القرآن - الصرفة ، أى صرف الهمم عن المعارضة ، ولم يرتض الخطابي ذلك، بل رد عليهم بقوله : (إن دلالة الآية تشهد بخلافه ، وهي قوله تعالى :

---

[271] السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ج1/ ص 5-6 . والإتقان في علوم القرآن ج4/ ص10-12 . والراغب الأصفهاني : : مفردات ألفاظ القرآن ، ص7-15 .

[272] راجع : الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها , د. سامي عطا حسن , جامعة آل البيت

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[273]، فأشار سبحانه في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد ، والمعنى في الصرفة التي وصفوها ، لا يلائم هذه الصفة ، فدل على أن المراد غيرها .)[274]

2- رد الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ت 403هـ)الصرفة بردود منها :

أولا : لو كان الأمر على ما ذهبوا اليه ، وكان الإعجاز بالصرفة حقا ، لكان الأقوى في الحجة ، والأبين في الدلالة ، أن يجيء القرآن في أدنى درجات البلاغة ، لأن ذلك أبلغ في الأعجوبة ، فإن الذي يعجز عن كلام هو في مستوى كلام الناس أو أدنى منه، يكون ذلك دليلاعلى أن هناك قوة غلابة ، حالت بينه وبين المعارضة، ولم يكن هناك حاجة لمجيء القرآن الكريم في نظم بديع ، ومستوى رفيع عجيب ، لأن الأقرب إلى قوة الدليل ، ووضوح الحجة حين تكون الصرفة هي الوجه للإعجاز- أن يكون القرآن في مستوى كلامهم ، أو دونه .

ثانيا : إننا لوسلمنا أن العرب المعاصرين للبعثة قد صرفوا كما يزعمون ، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة ، وحسن النظم ، وعجيب الرصف ، فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان

ثالثا : إنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزا ، وإنما يكون المنع هو المعجز ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره.)[275].

3- أفرد الإمام عبد القاهر الجرجاني(أبو بكر بن عبد الرحمن ت 471هـ) فصلا كاملا في رسالته – الشافية – (في الذي يلزم القائلين بالصرفة) ، أبطل فيه مذهبهم ، بردود كاقية شافية ، منها : (أنه يلزم على ادعائهم هذا ، أن يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان ، وفي جودة النظم وشرف اللفظ ، وأن يكونوا قد نقصوا في قرائحهم وأذهانهم ، وعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون ، وأن تكون أشعارهم التي قالوها ، والخطب التي قاموا بها ، – من بعد أن أوحي إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وتحدوا إلى المعارضة – قاصرة عما سمع منهم من قبل ذلك القصور الشديد ، وإذا كان الأمر كذلك ، وأنهم منعوا منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها ، لزمهم أن يعرفوا ذلك من أنفسهم ، ولو عرفوا لجاء عنهم ذكره ، ولكانوا قد قالوا للنبي – صلى الله عليه وسلم –:إنا كنا نستطيع هذا قبل الذي جئتنا به ، ولكنك سحرتنا ، واحتلت علينا في شيء حال بيننا وبينه ، وكان أقل ما يجب عليهم في ذلك أن يتذاكروه فيما بينهم ، ويشكوا البعض إلى البعض ، ويقولوا : ما لنا نقصنا في قرائحنا ..؟ وإذا كان ذلك لم يرد ،

---

[273] سورة الاسراء / آية 88 .

[274] في بيان اعجاز القرآن : الخطابي ، ص 23-24 .

[275] إعجاز القرآن : الباقلاني ، ص 42 .

ولم يذكر إن كان منهم قول في هذا المعنى ، لا ما قل ولا ما كثر ، فهذا دليل على أنه قول فاسد ، ورأي ليس من آراء ذوي التحصيل.

ومنها :الأخبار التي جاءت عن العرب في شأن تعظيم القرآن ، وفي وصفه بما وصفوه به من نحو : (إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر) فمحال أن يعظموه وأن يبهتوا عند سماعه ، ويستكينوا له ، وهم يرون فيما قالوه وقاله الأولون مايوازيه ، ويعلمون أنه لم يتعذر عليهم ، لأنهم لا يستطيعون مثله ، ولكن وجدوا في أنفسهم شبه الآفة ، والعارض يعرض للإنسان فيمنعه بعض ما كان سهلا عليه ، بل الواجب في مثل هذه الحال أن يقولوا : إن كنا لا يتهيأ لنا أن نقول في معاني ما جئت به ما يشبهه ، إنما نأتيك في غيره من المعاني بما شئت ، وكيف شئت ، بما لا يقصر عنه .

وخلاصة القول : إن دليل النبوة عند القائلين بالصرفة ، إنما كان في الصرف والمنع عن الإتيان بمثل نظم القرآن ، لا في نفس النظم ، ولو كان ذلك صحيحا ، لكان ينبغي إذا تعجب متعجب ، أن يقصد بتعجبه إلىالمنع من شيء كان يستطيعه ، لا أن يقصد بتعجبه وإكباره الى الممنوع وهو القرآن الكريم ، وهذا واضح لا يشكل .) [276]

4- رد ابن عطية : (القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب ت 546هـ) القول بالصرفة فقال :- (ووجه إعجازه : أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما ، وأحاط بالكلام كله علما ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن ، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل ، والنسيان ، والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشرا لم يكن قط محيطا ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النظر يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن ، فلما جاء محمد – صلى الله عليه وسلم – صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه .

والصحيح : أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة ، أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ، ثم لايزال ينقحها حولا كاملا ، ثم تعطى لآخر بعده ، فيبدل فيها وينقح ، ثم لا تزال فيها بعد ذلك مواضع للنظر والبدل ، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد . إلى أن يقول : فصورة قيام الحجةبالقرآن علىالعرب : أنه لما جاء محمد– صلى الله عليه وسلم – به وقال : (فأتوا بسورة من مثله) [277] ، قال كل فصيح في نفسه : وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله ؟ فلما تأمله وتدبره ، ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال : والله ما هو بالشعر ، ولا هو بالكهانة ، ولا بالجنون ، وعرف كل فصيح بينه

---

[276] الجرجاني : – عبد القاهر ، الرسالة الشافية ص 146– 154 ، بتصرف .

[277] سورة البقرة ، آية / 23 .

وبين نفسه أنه لا قدرة لبشر على مثله ، فصح عنده أنه من عند الله ، فمنهم من آمن وأذعن ، ومنهم من حسد كأبي جهل وغيره ، ففر إلى القتال ، ورضي بسفك الدم ،عجزا عن المعارضة ، حتى أظهر الله دينه ، ودخل جميعهم فيه ، ولم يمت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وفي الأرض قليل من العرب يعلن كفره .)[278]

5 – قال أبو حيان (أبو علي محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ت 654هـ) :

(اختلفوا فيما به إعجاز القرآن ، فمن توغل في أساليب الفصاحة وأفانينها ، وتوغل في معارف الآداب وقوانينها ، أدرك بالوجدان أن القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها ، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها ، فمعارضته عنده غير ممكنة للبشر ، ولا داخلة تحت القدر ، ومن لم يدرك هذا المدرك ، ولا سلك هذا المسلك ، رأى أنه من نمط كلام العرب ، وأن مثله مقدور لمنشئ الخطب ، فإعجازه عنده إنما هو بصرف الله تعالى إياهم عن معارضته ، ومناضلته ، وإن كانوا قادرين على مماثلته . والقائلون بأن الإعجاز وقع بالصرف ، هم من نقصان الفطرة الإنسانية في رتبة بعض النساء ، حين رأت زوجها يطأ جارية ، فعاتبته ، فأخبر أنه ما وطئها ، فقالت له : إن كنت صادقا فاقرأ شيئا من القرآن ، فأنشدها بيت شعر ذكر الله فيه ورسوله وكتابه فصدقته ، فلم ترزق من الرزق ما تفرق به بين كلام الخلق وكلام الحق .)[279]

6 – الإمام القرطبي:(محمد بن أحمد ت684هـ) الإجماع في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) فقال بعد أن ذكر قول القائلين بالصرفة : (وهذا فاسد ، لأن الإجماع قبل حدوث المخالف : أن القرآن هو المعجز ، فلو قلنا : إن المنع والصرفة هو المعجز ، لخرج القرآن عن أن يكون معجزا ، وذلك خلاف الإجماع ، وإذا كان كذلك ، علم أن نفس القرآن هو المعجز ، وأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة ، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه ، فلما لم يكن كذلك مألوفا معتادا منهم ، دل على أن المنع والصرفة ، لم يكن معجزا .)[280]

7 – قرر السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ) بطلان مذهب الصرفة ، فقال: : (زعم النظام أن إعجازه بالصرفة ، أي أن الله صرف العرب عن معارضته ، وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات، وهذا قول فاسد بدليل : (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [281] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة ، لم تبق فائدة لاجتماعهم ، لمنزلته منزلة اجتماع

---

[278] ابن عطية : المحرر الوجيز ، ج1/ ص 71– 73 ، و القرطبي : الجامع لأحكام القرآن – ، ج1/ ص51 .

[279] أبو حيان : البحر المحيط ج1/ ص 8–9 .

[280] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،ج1/ ص75. وانظر :د. عبد الفتاح محمد سلامة: قضية الإعجاز بين المتقدمين والمتأخرين ، ص 154 .

[281] سورة الإسراء ، آية / 88 .

الموتى ، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره ، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة إعجاز إلى القرآن ، فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز ، بل المعجز هو الله تعالى ، حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله ؟ وأيضا فيلزم من القول بالصرفة : زوال إعجازه بزوال زمن التحدي ، وخلو القرآن من الإعجاز ، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة : أن معجزة الرسول العظمى باقية ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن .)[282]

8 – –قال (محمد عبد العظيم الزرقاني) : تحت عنوان شبهة القول الصرفة : (ومن الباحثين من طوعت له نفسه أن يذهب إلى القول بأن وجه إعجاز القرآن هو الصرفة ، أي : صرف الله العرب عن معارضته ، على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته مستوى طاقتهم البشرية ، وضربوا لذلك مثلا ، فقالوا : إن الإنسان كثيرا ما يترك عملا هو من جنس أفعاله الإختيارية ، ومما يقع مثله في دائرة كسبه وقدرته ، إما لأن البواعث على هذا العمل لم تتوافر ، وإما لأن الكسل أو الصدود أصابه فأقعده همته ، وثبط عزيمته ، وإما لأن حادثا مفاجئا لا قبل له به قد اعترضه ، فعطل آلاته ووسائله ، وعاق قدرته قهرا عنه ، على رغم انبعاث همته نحوه ، وتوجه إرادته إليه ، فكذلك انصراف العرب عن معارضتهم للقرآن ، لم ينشأ من أن القرآن بلغ في بلاغته حد الإعجاز الذي لا تسمو إليه قدرة البشر عادة ، بل لواحد من ثلاثة:

أولها : أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم .

ثانيها : أن صارفا إلهيا زهدهم في المعارضة ، فلم تتعلق بها إرادتهم ، ولم تنبعث إليها عزائمهم ، فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي .

ثالثها : أن عارضا مفاجئا عطل مواهبهم البيانية ، وعاق قدرتهم البلاغية ، وسلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها .

بهذا التوجيه أو نحوه ، يعزى القول بالصرفة إلى : أبي اسحق الاسفراييني من أهل السنة ، والنظام من المعتزلة ، والمرتضى من الشيعة . وأنت إذا تأملت هذه الفروض الثلاثة التي التمسوها ، أو التمست لهم ، علمت أن عدم معارضة العرب للقرآن لم تجئ من ناحية إعجازه البلاغي في زعمهم ، بل جاءت على الفرضين الأولين ، من ناحية عدم اكتراث العرب بهذه المعارضة ، ولو أنهم حاولوها لنالوها ، وجاءت على الفرض الأخير ، من ناحية عجزهم عنها بسبب خارجي عن القرآن ، وهووجود مانع منعهم منها قهرا ، ذلك المانع هو : حماية الله لهذا الكتاب ، وحفظه إياه من معارضة المعارضين ، وإبطال المبطلين . ولو أن هذا المانع زال لجاء الناس بمثله ،لأنه لا يعلو على مستواهم في بلاغته ونظمه .

وبعد أن ذكر الزرقاني شبه القائلين بالصرفة ، أخذ في تفنيد شبههم فقال : وهذا القول بفروضه التي افترضوها ، أو بشبهاته التي تخيلوها ، لا يثبت أمام البحث ، ولا يتفق والواقع .

---

[282] السيوطي : الإتقان (مرجع سابق) ، ج4/ ص6–7 . .

أما الفرض الأول : فينقضه ما سجل التاريخ وأثبت التواتر ، من أن دواعي المعارضة كانت قائمة موفورة ، ودوافعها كانت ماثلة متآخذة ، وذلك لأدلة كثيرة :

منها : أن القرآن تحداهم غير مرة أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه ، ثم سجل العجز عليهم ، وقال بلغة واثقة : إنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا ، ولن يفعلوا ، ولو ظاهرهم الإنس والجن ، فكيف لا تثور حميتهم إلى المعارضة بعد هذا ، ولو كانوا أجبن خلق الله .؟

ومنها : أن صناعتهم البيان ، وديدنهم التنافس في ميادين الكلام ، فكيف لا يطيرون بعد هذه الصيحة إلى حلبة المساجلة ؟ ,ومنها : أن القرآن أقام حربا شعواء على أعز شيء لديهم ، وهي عقائدهم المتغلغلة فيهم ، وعوائدهم المتمكنة منهم ، فأي شيء يلهب المشاعر ويحرك الهمم إلى المساجلة أكثر من هذا ..؟ ما دامت المساجلة هي السبيل المتعين لإسكات خصمهم لو استطاعوا .

وأما الفرض الثاني : فينقضه الواقع التاريخي أيضا ، ودليلنا على هذا ما تواترت به الأنباء ، من أن بواعث العرب إلى المعارضة قد وجدت سبيلها إلى نفوسهم ، ونالت منالها من عزائمهم ، فهبوا هبة رجل واحد ، يحاولون القضاء على دعوة القرآن ، بمختلف الوسائل ، فلم يتركوا طريقا إلا سلكوه ، ولم يدعوا بابا إلا دخلوه . لقد آذوه ، وآذوا أصحابه ، فسبوا من سبوا ، وعذبوا من عذبوا ، وقتلوا من قتلوا . ولقد قاطعوه وقاطعوا أسرته الكريمة ، لا يبيعون لهم ولا يبتاعون ، ولا يتزوجون منهم ، ولا يزوجون ، واشتد الأمر حتى أكلت الأسرة الكريمة ورق الشجر . ولقد فاوضوه أثناء هذه المقاطعة التي تلين الحديد مفاوضات عدة ، وعرضوا عليه عروضا سخية مغرية ، منها : أن يعطوه حتى يكون أكثرهم مالا ، وأن يعقدوا له لواء الزعامة فلا يقطعوا أمرا دونه ، وأن يتوجوه ملكا عليهم إن كان يريد ملكا ، وأن يلتمسوا له الطب إن كان به مس من الجن . كل ذلك في نظير أن يترك هذا الذي جاء به . ولما أبى عليهم ذلك عرضوا عليه أن يهادنهم ويداهنهم ، فيعبد آلهتهم سنة ، ويعبدون إلهه سنة ، فأبى أيضا .

ولقد اتهموه – صلى الله عليه وسلم – بالسحر ، وأخرى بالشعر ، وثالثة بالجنون ، ورابعة بالكهانة ، وكانوا يتعقبونه وهو يعرض نفسه على قبائل العرب أيام الموسم ، فيبهتونه ، ويكذبونه أمام من لا يعرفونه ، ولقد شدوا وطأتهم على أتباعه حتى اضطروهم أن يهاجروا من وطنهم ، ويتركوا أهلهم وأولادهم وأموالهم فرارا إلى الله بدينهم . ولقد تآمروا على الرسول أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، لولا أن حفظه الله وحماه من مكرهم ، وأمره بالهجرة من بينهم . ولقد أرسلوا إليه الأذى بعد ذلك في مهاجره ، فشبت الحرب بينه وبينهم في خمس وسبعين موقعة ، منها سبع وعشرون غزوة ، وثمان وأربعون سرية . فهل يرضى عاقل لنفسه أن يقول بعد ذلك كله : إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ، ونبي القرآن ، وإنهم كانوا مخلدين إلى العجز والكسل ، زاهدين في النزول إلى هذا الميدان .؟

وأما الفرض الثالث : فينقضه ما هو معروف من أن العرب حين خوطبوا بالقرآن قعدوا عن معارضته ، اقتناعا بإعجازه ، وعجزهم الفطري عن مساجلته ، ولو أن عجزهم هذا كان لطارئ مباغت عطل قواهم البيانية ، لأثر عنهم أنهم حاولوا المعارضة بمقتضى تلك الدوافع القوية التي شرحناها ، ففوجئوا بما ليس

في حسبانهم ، ولكان هذا مثار عجب لهم ، ولأعلنوا ذلك في الناس ، ليلتمسوا لأنفسهم العذر ، وليقللوا من شأن القرآن في ذاته ، ولعمدوا إلى كلامهم القديم ، فعقدوا مقارنة بينه وبين القرآن ، يغضون بها من مقام القرآن وإعجازه ، ولكانوا بعد نزول القرآن أقل فصاحة وبلاغة منهم قبل نزوله ، ولأمكننا نحن الآن ، وأمكن المشتغلين بالأدب العربي في كل عصر ، أن يتبينوا الكذب في دعوى إعجاز القرآن ، وكل هذه اللوازم باطلة ، فبطل ما استلزمها وهو القول بالصرفة ..) [283]

رابعا:القدر المعجز من القرآن

هذه المسألة على أقوال [284]:

1- ذهب بعضهم إلى أن القدر هو القرآن بجملته، ونسب هذا إلى المعتزلة (وهو قول باطل متكلف جدا).

2- وذهب آخرون إلى أن القدر المعجز سورة كاملة (هذ القول منسوب للقاضي الباقلاني) ، ثم إن هؤلاء كانوا فريقين :

الأول : إعتبر السورة سورة طويلة ، مستندا إلى أن الآيات التي ورد فيها التحدي بالسورة _ سورة البقرة وسورة يونس _ سورتان طويلتان ، فالتحدي إنما هو بقدرهما ، وممن ذهب إلى ذلك الفخر الرازي _ وقد نص عليه في تفسيره- ونقله عن آخر لا يحضرني الآن .

الثاني : اعتبر مطلق السورة ، سواء طالت ، أم قصرت . وأقل ذلك ما كان بمقدار سورة الكوثر ، باعتبارها أقصر سور القرآن . وهذا معزوّ إلى الجمهور من العلماء . وهو الذي يسنده الدليل ، وظاهر القرآن

3 – الإعجاز يتعلق بالقرآن قليله وكثيره و واستدلوا بقوله تعالي (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ)[285]

ووجه الإستدلال أن القرآن يطلق علي القليل والكثير .

3-إعتبر كل آية وكل حرف قد وقع به التحدي ، وذهب إلى ذلك مصطفي صادق الرافعي , مناع القطان في كتابه الجميل :"مباحث في علوم القرآن" .

والراجح

أرجح القول الرابع , لأن الآية مهما صغرت لها موضوعها وأعجازها , وإن جاءت علي نسق السورة التابعة لها . الآية الكبيرة مثل آية الدين تحوي علوما ومسائل شتى , فهي معجزة لأننا لا نستطيع فصل

---

[283] الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن، (مرجع سابق) ج2/ ص310-315 (باختصار يسير)

[284] راجع الإتقان في علوم القرآن ج 4 ص 19 , إعجاز القرآن : الرافعي ص 165

[285] الطور 34

اللفظ عن المعني في القرآن لانهما روحان يمتزجان،الآية الصغيرة مثل ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[286]معجزة بمفردها لتناسق الآية مع السورة واشتمالها علي لفظ الصمد , ووقعها شديد التأثير علي العامة والخاصة .

الآية الكبيرة مثل ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[287]، حين نبتدأ الآية الكريمة من قوله تعالي (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ .....

اقول وبالله التوفيق : معجزة في كل جزء من أجزاءها , فهذا التشبيه فوق طاقة البشر , وهذه الفصاحة والعذوبة ..... إلخ مما حير الأدباء جيلا بعد جيل , وقد أسلم بعض الملاحدة عند تأمله لها وقال لا يقول هذا بشر .., أما الكلمة والحرف فهي معجزة لوجودها آية أو في آية ، فحين نسمع﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[288] , فهي معجزة لما سبق ثم أنها كلام الله سبحانه وتعالي , ووضع الحروف معجز لأنك إن حذفت من القرآن حرفا واحدا لاختل اللفظ و المعني وأصبح الإسلوب ركيكا , منصرفا عما وضع له , وهذا في كل القراءات الصحيحة.

وقد كثر في القرآن الكريم إبدال كلمة بكلمة مثل﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[289] و ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[290] وإبدال حرف بحرف مثل ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾[291] و ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾.[292]

❖ كيف يعلم غير العربي إعجاز القرآن

قال الباقلاني [293] (الأعاجم لا يعرفون إعجاز القرآن إلا من خلال عجز العرب الفصحاء , قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية، من العجم والترك وغيرهم، أن يعرفوا إعجاز القرآن، إلا أن

---

[286] المسد 2

[287] النور 35

[288] القلم 18

[289] البقرة 29

[290] فصلت 12

[291] الأعراف 160

[292] البقرة 57

[293] إعجاز القرآن : الباقلاني , الفصل الثامن

يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا على أن يأتوا بمثله، وقرعوا على ترك الإتيان بمثله، ولم يأتوا به، تبينوا أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل اللسان فهم عنه أعجز.

❖ **العرب غير الفصحاء كالأعاجم**

وكذلك نقول: إن من كان من أهل اللسان العربي، إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام، ووجوه تصرف اللغة، وما يعدونه فصيحاً بلغياً بارعاً من غيره، فهو كالأعجمي: في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره، وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء.

❖ **من تناهى في معرفة اللسان العربي يدرك الإعجاز القرآني:**

فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي، ووقف على طرقها ومذاهبها، فهو يعرق القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوسع، ويتجاوز حدود القدرة، فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما يميز بين الشعر الجيد والرديء والفصيح والبديع النادر والبارع والغريب. وهذا كما يميز أهل كل صناعة صنعتهم، فيعرف الصيرفي من النقد ما يخفى على غيره، ويعرف البزاز من قيمة الثوب وجودته ما يخفى على غيره.

الفصل الثاني: المجاز اللغوي

الفصل الثاني:المجاز اللغوي

1علم البلاغة:

البلاغة فعالة مصدر بلُغ بضم اللام كفقه وهو مشتق من بلَغ بفتح اللام بلوغاً بمعنى وصل وإنما سمي هذا العلم بالبلاغة لأنه بمسائله وبمعرفتها يبلغ المتكلم إلى الإفصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يعين على قبول السامع له ونفوذه في نفسه فلما صار هذا البلوغ المعنوي سجية يحاول تحصيلها بهذا العلم صاغوا له وزن فعُل بضم العين للدلالة على السجية فقالوا علم البلاغة فإن المتكلم إذا تكلم فإنما اهتمامه بأن ينقل ما في ضميره إلى ذهن سامعه فهو محتاج قبل كل شيء إلى معرفة اللغة التي يريد أن يخاطب بها من مفرداتها وكيفية تركيبها فإذا لم يعلم ذلك لم يكد كلامه أن يفهم وهذه المعرفة تحصل له من علم اللغة والنحو والصرف فإن حاول تكلمها بدون هذه المعرفة كان مثله كما قال الحطيئة في الشعر ((يريد أن يعربه فيعجبه))[294] ولكنه إذا علم اللغة والنحو والصرف فإنما يستطيع أن يعبر عن حاصل المراد وأصل المعنى ولا يستطيع أن يفصح عن تمام المراد فلو أراد أن يخبرك بحضور تلميذ واحد من تلامذة درسه وتخلف الباقين فقال لك حضر زياد لم تفهم إلا أنه أخبرك بحضور زياد لئلا تكتبه متخلفاً ثم إذا علمت أن بقية التلامذة لم يحضروا فقلت له: ما بالك لم تخبرني بعدم حضور أنس ونافع وغيرهما؟ قال لك: ألستُ قد أخبرتك بحضور زياد ولم أذكر لك غيره؟ فدلك بقوله ذلك على قصوره في معرفة أداء جميع مراده على أنه لو تنبه لزيادة البيان لقال حضر زياد ولم يحضر أنس لم يحضر نافع لم يحضر زهير وأخذ يعدد بقية التلامذة أو استعان بحركة يديه فقال لك حضر زياد ثم ضرب بيديه كالنافض لهما كأنه يشير إلى معنى فقط فحينئذ أدى جميع مراده لكن بعبارة غير سهلة ومع إشارة فإذا كان قد علم الكيفية الخصوصية للتعبير عن هذا المراد وهي أن يقول ما حضر إلا زياد كان قد بلغ إلى أداء جميع مراده بكلام سهل وكذا إذا أراد أن يخبرك عما أبلاه عنترة من الشجاعة والفتك في يوم من أيامه فجعل يقول قتل فلاناً وجرح فلاناً وضرب فلاناً وضرب الفرس فأدماه وهرب راكبه وسبى نساءهم وحطم مشاتهم فإنه قد دلك على جميع مراده بعبارة غير واضحة في الدلالة على جميع المراد

---

[294] مثال ذلك ما حكاه الجاحظ أنه سأل رجلاً دخيلاً في العربية عن صبي أخذته الشرطة في سرقة أتهم بها قائلاً في: أي شيء أسلموا هذا الصبي؟ فأجاب ((في أصحاب سند نعال)) أي في أصحاب النعال السندية، وقال مرة يشتم غلاماً للجاحظ ((الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل)) يريد أنت أقل الناس حياء واسم هذا الدخيل نفيس بن بريهة، وكما يريد أحد أن يقول باع فرسين فيقول بيع فرس وفرس لأنه لا يعرف كيف يصوغ ماضي باع ولا يعرف صيغة المثنى ولا الإعراب.

بكلام واضح الدلالة عليه، ولما كانت الكيفيات المذكورة لا تقع إلا في كلام خاصة أهل اللسان العربي سموها بالخصوصيات نسبة إلى الخصوص وهو ضد العموم الذي هو بمعنى الجمهور وتسمى بالنكت أيضاً.

فالعلم الباحث عن القواعد التي تصير الكلام دالاً على جميع المراد وواضح الدلالة عليه يدعى علم البلاغة، ثم إن هنالك محسنات للكلام متى اشتمل عليها اكتسب قبولاً عند سامعه ولما كان حسن القبول يبعث السامع على الإقبال على الكلام بشراشره وكان في ذلك عون على إيعاء جميع المراد جعلوا تلك المحسنات اللفظية من لواحق مسائل هذا العلم سواء كان حسنها عارضاً للفظ من جهة موقعه المعنوي[295] كالمطابقة في قول أبي ذؤيب الهذلي:

أمـــا والـــذي أبكـــى وأضـــحك والـــذي أمـــات وأحيـــى والـــذي أمـــره الأمـــر

أم كان حسنها عارضاً له من جهة تركيب حروفه كالجناس في قول الحريري:

سِـــــمْ سِـــــمَةً تحمـــــد آثارهـــــا واشـــكر لمـــن أعطـــى ولـــو سِمْسِـــمَة

فكلها تسمى المحسنات وتوابع البلاغة ويلقبونها بالبديع.

فانحصر على البلاغة لذلك في ثلاثة فنون فن المعاني وهو المسائل التي بمعرفتها يستطيع المتكلم أن يعبر عن جميع مراده بكلام خاص، وسمي علم المعاني لأن مسائله تعلمك كيف تفيد معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، أما بزيادة لفظ قليل يدل على معنى حقه أن يؤدى بجمل مثل صيغة إنما في الحصر، وكلمة إن في التأكيد ورد الإنكار معاً وأما بأن لا يزيد شيئاً ولكنه يرتب الكلام على كيفية تؤدي بذلك الترتيب معنى زائداً مثل تقديم المفعول والظرف لإفادة الحصر في نحو: الله أحد، وإياك نعبد وهذا الفن هو معظم علم البلاغة، وفن البيان وهو المسائل التي بمعرفتها يعرف وضوح الدلالة على المراد كقولك: عنترة أسد، وحاتم كثير الرماد، وفن البديع وهو المسائل التي تبحث عن المحسنات اللفظية كما تقدم.

فتعريف علم البلاغة هو العلم بالقواعد التي بها يعرف أداء جميع التراكيب حقها وإيراد أنواع الشبيه والمجاز والكناية على وجهها وإيداع المحسنات بلا كلفة مع فصاحة الكلام.

(تاريخه) كان هذا العلم منثوراً في كتب تفسير القرآن عند بيان إعجازه وفي كتب شرح الشعر ونقده ومحاضرات الأدباء من أثناء القرن الثاني من الهجرة فألف أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 144 كتاب مجاز القرآن وألف الجاحظ عمر وبن بحر المتوفى سنة 344 كتباً كثيرة في الأدب وكان بعض من

---

[295] لمراد بموقع اللفظ المعنوي أن معناه الموضوع له في اللغة هو هو بحيث لا تجد له خصوصية في اختلاف معناه حتى يصير من مسائل علم المعاني بل يوجد موقع يكون فيه لوقوع ذلك اللفظ أحسن من وقوع غيره فإنه لو قال ((أما والذي أبكى وأرشد)) لكان وقوع لفظ أرشد أقل من وقوع لفظ أضحك وكذلك لفظ أبكى لو وقع مع قوله والذي أمات لم يكن له من الحسن ما كان له في موضعه الأول.

هذا العلم منثوراً أيضاً في كتب النحو مثل كتاب سيبويه ولم يخص بالتأليف إلا في أواخر القرن الثالث إذا ألف عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (المولود سنة247 والمتوفى سنة296 قتيلاً بعد أن بويع له بالخلافة ومكث يوما واحداً خليفة) كتاب البديع أودعه سبعة عشر نوعاً وعد الاستعارة منها).

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني الأشعري الشافعي المتوفى سنة 471 فألف كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة أولهما في علم المعاني والثاني في علم البيان فكانا أول كتابين ميزا هذا العلم عن غيره ولكنهما كانا غير ملخصين ولا تامي الترتيب فهما مثل در متناثر كنزه صاحبه لينظم منه عقداً عند تأخيه فانبرى سراج الدين يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المعتزلي المولود سنة 555 والمتوفي سنة 626 إلى نظم تلك الدرر فألف كتابه العجيب المسمى مفتاح العلوم في علوم العربية وأودع القسم الثالث منه الذي هو المقصود من التأليف مسائل البلاغة دونها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط فكان الكتاب الوحيد اقتبسه من كتابي الشيخ عبد القاهر ومن مسائل الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري فأصبح عمدة الطالبين لهذا العلم وتتابع الأدباء بعده في التأليف في هذا العلم الجليل.

. وينقسمُ علمُ البلاغة إلى ثلاثة أقسامٍ :

1) علمُ المعاني : وهو علمٌ يعرَفُ به أحوال اللفظ العربيِّ التي بها يطابقُ مقتضَى الحال

2) علمُ البيان : وهو علمٌ يعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفةٍ في وضوحِ الدلالة عليه (وهو ما سنهتم بدراسته لإرتباطه بموضوع التشفير)

3) علمُ البديع : وهو علمٌ يعرَف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعايةِ تطبيقه على مقتضَى الحال ووضوحِ الدلالة.

2علم البيان

نشأته وتعريفه وأهميته :

وردت لفظة (البيان) في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ هذا بيان للناس وموعظة للمتقين ﴾[296] ، وقد اختلف في تفسيرها . قيل: انّ البيان في هذه الآية الكريمة يعني القرآن " [297] ، كما ذكر مصنفو كتب علوم القرآن : " انّ البيان اسم من اسماء القرآن الكريم وصفة له ،اذ انّ كلمة البيان دالة ، في هذه الآية الكريمة على ما يمتاز به القرآن من الأسلوب المعجز في موضوعاته الدينية والفكرية وفي لغته الفصيحة "[298].أما قوله تعالى : " الرحمن . علّم القرآن . خلق الانسان . علّمه البيان " [299] فقد اختلف

---

[296] سورة آل عمران : 138

[297] الجامع لأحكام القرآن : 4/ 216

[298] البلاغة والتطبيق : 251

المفسرون في تحديد مدلول (البيان) في هذه الآيايات الكريمات ، فقيل : انّه أسماء كلّ شيء، وقيل اللغات كلّها ، وقيل : بيان الحلال والحرام ، والهدى والضلالة ، وقيل : الكلام والفهم ، وقيل : لسان كلّ قوم الذي يتكلمون به ، وقيل : الكتابة والخط والقلم [300].

ويذهب الزمخشي الى أنّ البيان ، هنا، ما يمّيز الانسان عن سائر الحيوان ، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير[301].

انّ كلمة البيان نفسها ، على الرغم من الاختلاف في تفسيرها ، تدل ، في ضوء الدراسات اللغوية العلمية والبحوث البلاغية والنقدية القديمة والمعاصرة ، على الملكة التي خلق الله تعالى عليها الانسان كائنا قادرا على التعبير عما في نفسه ، والتأثير فيمن حوله من بني جنسه ن فمدلول كلمة (البيان) بين يدي القرآن الكريم ، هو ملكة التعبير ونتاج هذه الملكة من فن القول .

والبيان لغة، هو الظهور والوضوح والكشف ، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة أنّ البيان " من بان الشيء وأبان ، اذا اتضح وانكشف ، وفلان أبين من فلان ، أي : أوضح كلاما منه [302].

وفي لسان العرب :" بان الشيء بيانا اتضح ، فهو بيّن ، وأبنته أنا، أي وضّحته ، واستبان الشيء ظهر، واستبنته أنا عرّفته ، والتبيين : الايضاح

وبان الصبح : ظهر ووضح ، والبيان الفصاحة والافصاح مع ذكاء ، والبيّن من الرجال : السمح اللسان ، الفصيح الظريف ، العالي الكلام ، وفلان أبيّن من فلان ، أي : أفصح منه وأوضح كلاما .

وعندما بدأت حركة الجمع والتأليف في مختلف العلوم عني الباحثون بتدارس كلمة (البيان) ، وتحديد مدلولها ، وتفصيل أدواتها , وأول من دوّن كلمة (البيان) واستعملها هو الجاحظ (ت 255)، اذ جعلها عنوانا لأحد كتبه ، وهو " البيان والتبيين" ، الاّ أنذ الابانة عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيف هذا الكتاب ، ومنتشرة في أثنائه .

وقد ذكر الجاحظ فيه تعريف (جعفر بن يحيى (ت 187)الذي يعدذ أقدم ما دوّن ، يقول :

وقال ثمامة ك قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلّي عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة ، والذي لا له أن يكون سليما من التكلّف ، بعيدا عن الصنعة ، بريئا من التعقّد ن غنيا عن التأويل" .

وقد عرّف الجاحظ (البيان) بأنّه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي " [303]،أو هو " اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يغضي السامع الى حقيقته ن

---

[299] الرحمن / 1-4

[300] الجامع لأحكام القرآن : 17/ 152

[301] الكشاف : 49/4

[302] معجم مقاييس اللغة : مادة (بين)

[303] البيان والتبيين : 1/ 75

ويهجم على محصوله كائنا من كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ... فبأي شيء بلغت الافهام ، واوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[304].

فالبيان ، اذن ، هو اجلاء المتكلم للحقيقة ، ولا شيء آحر غير الحقيقة . والتعريف الذي أورده الجاحظ لجعفر بن يحيى يوضح ذلك ن وهذه الاعتبارات كلها تجعل البيان ، عند ، الجاحظ ، يتميّز بميزات خاصة ، وهذه الميزات منها ما يتعلّق بالمتكلم ، ومنها ما يتعلّق بالدليل . [305]

وقد انعكس ما قام به الجاحظ في التصدي لبحث (البيان) على الآثار البلاغية والنقدية التي صنفها ، بعده ، الرواد من البلاغيين من أمثال (ابن وهب الكاتب (ت) في كتابه (البرهان في وجوه البيان) ، والرماني (ت 386) في رسالته النكت في اعجاز القرآن) . والبيان ، عنده ، هو الاحضار لما يظهر به تميّز الشيء من غيره في الادراك ، وأقسامه أربعة : كلام ، وحال ، واشارة ، وعلامة [306] ، وأبي هلال العسكري (ت 395) الذي يعدّ كتابه (الصناعتين) من أبرز الكتب التي تناولت مباحث بلاغية ، وقد ضمّ هذا الكتاب عشرة أبواب ، تناول فيها : البلاغة ، والفصاحة ،وتميّز الكلام جيده من رديئه ، ومعرفة صفة الكلام ، وترتيب الألفاظ ، وحسن النظم ، وجودة الرصف ، والايجاز والاطناب ، وحسن الأخذ ، وحلّ المنظوم ، والتشبيه ، والأسجاع ، والازدواج ، والبديع ، ومبادئ الكلام ومقاطعه .

وقد عالج من موضوعات علم البيان : التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتعريض ، وان اعتبرها ، ما عدا التشبيه ، من البديع [307]

أما ابن رشيق القيرواني (ت 463) في كتابه (العمدة) ن فقد نقل تعريف الرماني ، ولكنّه لم يقف عنده ، بل ذكر تعريفا آخر ، وهو : أنّ البيان الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة ، وانما قيل ذلك ، لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي قد يدل ، ولا يستحق اسم البيان "[308].

وعبارة ابن رشيق في تعريفه البيان " الكشف عن المعنى " قريبة من عبارة الجاحظ " أنّ البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى "[309].

وما يفهم من من كلام ابن رشيق وأمثلته في البيان ، الذي هو عنده ، السلاسة والجزالة والبعد عن التعقيد والتنافر والابهام في افادة المعنى ، أنّه لا يطلق لفظ البيان على البلاغة ، وانما هو ، عنده ، من فنونها كالمجاز والاستعارة والتشبيه والاشارة والتتبع والتجنيس ووالترديد .

---

[304] المصدر نفسه: 1 / 76

[305] أساليب البيان في القرآن : 192

[306] النكت في اعجاز القرآن : 97

[307] علم أساليب البيان : 79- 80

[308] العمدة : 1/ 437

[309] مصطلحات بلاغية : 72

أما عبدالقاهر الجرجاني (ت 471) في كتابيه : (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) فقد أورد فيهما عبارة (علم البيان) محاولا توضيحها بقوله: انّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا وأبسق فرعا ... من علم البيان ، الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ، ويصوغ الحلي " [310] ، مما يعني أنّ البيان ، عنده ، هو الكشف والايضاح عمّا في النفس والدلالة عليه ، وأنّ الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان ألفاظ مترادفة ، وكلّها يعبّر بها عن " فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلّموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ن ، وراموا أن يعلموا ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم "[311] .

ويعد تصدي السكاكي (ت 626)للبلاغة العربية في كتابه (مفتاح العلوم) بداية لتغيّر حال البيان العربي .

فالمعروف أنّ السكاكي وضع للبلاغة العربية قواعدها المنطقية ، وقسّمها اللى المعاني والبيان ، وألحق بهما المحسنات ، ووضع لكل قسم تعريفا جامعا مانعا ، زحدد مباحثه وفنونه.

وقد اعتمد البلاغيون التعريف الذي وضعه السكاكي الذي يرى " أنّ البيان هو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزبادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ، ليحترز بالوقوفعلى ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه [312].

والمراد ب "معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة " مجموعة القواعد والضوابط والقوانين التي يعرف بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كقواعد التشبيه ، وضوابط الاستعارة والمجاز المرسل ، وقوانين الكناية . والمراد بالمعنى الواحد المعنى الذي يعبّر عنه المتكلّم بكلام تام مطابق لمقتضى الحال ، كمعنى الشجاعة والكرم والعفّة ، فليس من البيان الاقتدار على تأدية المعنى المفرد بألفاظ مترادفة ، نحو : الأسد والليث والغضنفر والبع والضرغام ، لأنّ معرفة ذلك يرجع الى علم اللغة وليس الى علم البيان .

والمراد باختلاف الطرق التي يؤدّى بها المعنى الواحد في وضوح الدلالة عليه ، أن يكون بعضها واضحا وبعضها أشدّ وضوحا ، وليس المراد أن يكون بعضها واضحا وبعضها خفيا لأنّ الخفاء المشكل الذي لا يفهم معه المعنى المراد معيب عند علماء البيان، الاّ اذا أريد بالخفاء الدقّة في أداء المعنى بعيدا عن اللبس والاشكال ، فلا غبار على أرادة ذلك .

ويرجع التفاوت في وضوح الدلالة على المعنى الى أمور :

1- اختلاف طرق التعبير عن المعنى الواحد ، فمثلا اذاأراد المتكلم أن يصف زيدا بالكرم ، فله أن يسلك طريق الحقيقة فيقول : زيد كريم ، أو طريق التشبيه فيقول: زيد كالبحر عطاء ، وزيد كالبحر ، وكأنّه البحر ، وزيد بحر في العطاء . ونلاحظ اختلاف درجة المبالغة باختلاف نوع التشبيه . وله أن

---

[310] دلائل الاعجاز : 5-6

[311] المصدر نفسه 35

[312] مفتاح العلوم :70

يسلك طريق الاستعارة التصريحية فيقول : رأيت بحرا يفيض على الناس ، أو المكنية فيقول : أمطرنا زيد بعطائه . أو يسلك طريق الكناية فيقول : زيد جبان الكلب ، وكثير رماد القدر .

2- قرب المعنى المجازي أو الكنائي من المعنى الحقيقي وبعده عنه ، فمثال القرب : استعارة الطيران للعدو ، نحو : فلان يطير الى حاجته ، أي : يعدو اليها مسرعا . ومثال البعد بينهما: استعارة الانسلاخ لزوال ضوء النهار شيئا فشيئا، حتى يظهر الليل كما في قوله تعالى :﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون ﴾[313].

3- درجة وضوح القرينة الدالة على المعنى المراد ، فقد تكون بحيث يدركها السامع لأول وهلة ، كقولنا " رايت أسدا يخطب الناس ، وعندئذ يكون التعبير في غاية الوضوح ، وقد لا يدركها السامع الا بعد فكر وأطالة نظر ، كقول الشاعر (الغنوي) :

وجعلت كوري فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل

وعندئذ يكون التعبير دقيقا وأقلّ وضوحا .

ثم أدخل السكاكي الدلالات في تقسيم موضوعاته، وأثار مناقشة دخول هذا الموضوع أو ذاك فيه وخروجه عنه ، فبحث ، في هذا الباب ثلاث دلالات للالفاظ :

1- دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، وتسمّى ´دلالة المطابقة " . وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له في اللغة ، كدلالة " أسد" على الحيوان المفترس ، وسمّيت دلالة اللفظ على معناه الوضعي " دلالة مطابقة" ، لتطابق اللفظ والمعنى ، بحيث اذا أطلق اللفظ فهم السامع معناه ، ولا يفتقر العقل في ادراك المعنى من اللفظ الى شيء آخر غير الوضع ، وهذا الوجه من أوجه الدلالة لا يتأتلى فيه التفاوت في درجة الوضوح ن ولذلك لا يلتفت اليه البيانيون التفاتا أصيلا .

2- دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسماه ، وتسمى "دلالة التضمين" ، كدلالة البيت على الجدار أو السقف فقط ، وسميت بذلك ، لأنّ الجزء المفهوم من اللفظ هو ضمن المعنى الكلي ، فيدرك عند فهمه ، اذ انّ العالم بوضع اللغة يفهم من اللفظ أور معناه الوضعي ، ويستتبع ذلك فهم جزء معناه ، وعلى هذا لا تكون هذه الدلالة وضعية ، فيأتي فيها التفاوت في درجة الوضوح .

3- دلالة اللفظ على لازم معناه ، وتسمى " دلالة الالتزام " ، وهي دلالة اللفظ على معنى خارج على المعنى الذي وضعه له واضع اللغة ، لازم له في الذهن ، وهذا اللزوم الذهني قد يكون مبنيا على مجرد النظر العقلي دون تدخل عرف أو اصطلاح كدلالة قولنا : العالم متغيّر ، فقد ثبت في حكم العقل التلازم بين تغيّر العالم وحدوثه ، وقد يكون مبنيا على عرف عام مشهور كدلالة لفظ " أسد" على الشجاعة ، فالذهن يدرك التلازم بين الأسد والشجاعة ، اعتمادا على ما اشتهر في عرف الناس من التلازم بينهما ، وقد يكون مبنيا على طبيعة مستقرة في انسان ،أو حيوان ، كدلالة حمرة الوجه على الخجل ، وتقطيبه

[313] سورة يس 37

على الغضب ، وجبن الكلب على الكرم ، أو على عادة مشهورة كدلالة ايقاد النار في مكان مرتفع على الكرم . فمن طبيعة الانسان أن يحمر وجهه عند الخجل ، وأن يقطب وجهه عند الغضب ، ومن طبيعة الكلب أن يجبن أمام من اعتاد رؤيته ، ومن عادات العرب اشعال النيران في الاماكن المرتفعة ، ليسترشد بها القادم اليهم .

والبيانيون يعتمدون على دلالتي " التضمين" و " والالتزام" في تحقيق الغاية القصودة من علم البيان ، وهي الاقتدار على ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه . ويجب على البياني أن يراعي ، مضافا الى وضوح اللالة على المعنى الذي يريد أداءه ، مطابقته لمقتضى الحال ، فيجمع بذلك بين وظيفتي " علم البيان " و " علم المعاني" .

وقسّم السكاكي هذه الدلالات على قسمين : الأول وضعي ، وفيه الدلالة المطابقية ، والثاني عقلي ، وفيه دلالة التضمين والالتزام .

وقد أخرج السكاكي ، بناء على تقسيم البيان على هذه الدلالات ، التشبيه ، لأنّ دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة ، لأنّ السامع اذا كان عالمابوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، والاّ لم يكن كلّ منهما دالا عليها بخلاف "دلالة التضمين" و "دلالة الالتزام" اللتين هما دلالتان عقليتان ، يمكن التصرف في الالفاظ وايرادها في طرق متعدّدة للدلالة على المعنى الواحد [314].

أهمية علم البيان:

نوّه البلاغيون العرب القدامى بأهمية البيان ، وفي مقدمتهم عبدالقاهر الجرجاني (ت 471) بقوله : "ثم انّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا ، وأبسق فرعا ، وأحلى جنى ، وأعذب وردا ، وأكرم نتاجا ، وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ، ويصوغ الحلي ، ويلفظ الدر ، وينفث السحر ، ويقري الشهد ، ويريك بدائع من الزهر ، ويجنيك اليانع من الثمر ، والذي لولا تحفّيه بالعلوم وعنايته بها ، وتصويره اياها لبقيت كامنة مستورة ، ولما استبنت لها يد الدهر صورة ، ولاستمر السرار بأهلها ، واستولى الخفاء على جملتها ، الى فوائد لا يدركها الاحصاء ، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء [315]".

فالبيان يعدّ العمود الفقري لعلوم الاجب العربي وفنون اللغة العربية . والبيان ، أو دراسة الفن الادبي ينبغي أن يساير كلّ نشاط فكري ، لأثره البعيد في اللغة العربية ، اذ هو يشرح محاسنها وصنوف التعبير بها ، ويجلّي أساليبها المختلفة ، وفضل التعبير بكلّ أسلوب منها ، ويفسّر الملامح الجمالية التي تبدو في قصيدة الشاعر أو خطبة الخطيب أو رسالة الكاتب أو مقالة المتكلم .

---

[314] البلاغة والتطبيق : 256

[315] دلائل الاعجاز : 5-6

وتتجلّى أهمية البيان في ميادينه تلك : انّ اجادة تحقيق قوانينه وابداع مهارته وفهم ثماره أمور تقتضي توفر آلات وأدوات ذكر منها ابن الأثير (ت 637) في" المثل السائر" : معرفة علم العربية من النحو والصرف ، ومعرفة ما يحتاج اليه من اللغة ، وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي والغريب ، ومعرفة أمثال العرب وأيامها ، والاطلاع على تآليف من تقدّم من أرباب هذه الصناعة المنظوم منه والمنثور ، وحفظ القرآن الكريم والاحاديث النبية الشريفة ، ومعرفة علم العروض والقوافي

1.2 التشبيـه في القرآن الكريم :

التشبيه بأنواعه المتعددة من أكثر الأنواع البيانية ظهوراً في النصوص القرآنية والأدبية ، فتناوله كثير من الدارسين لتعريفه وتحديد مفهومه ، والتشبيه لغةً يعود إلى أصل مادة (شبه) ، وتدور حول تشابه الأشياء وتشاكل بعضها مع بعضها الآخر في صفات معينة ، والشبه هو المثل ، يقال : شابه الشيءَ إذا ماثله[316].

ومن البين هنا أن ذلك التعريف يتفق مع تعريف الخطيب القزويني للتشبيه حيث قال : ((التشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى)) [317] .

وقد اتفق علماء البلاغة على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة ؛ وذلك ((أنه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن احد منهم عنه)) [318]. فهو أكثر أنواع الأساليب البيانية اطراداً في كلام العرب عامة ، فضلاً عن أنه طريق لاتساع معارف البشر ، من حيث انه يسهل على الذاكرة عملها ، فيغنيها عن اختزان جميع الخصائص المتعلقة بكل شيء على حدة بما يقوم عليه من اختيار الوجوه الدالة التي يستطاع بالقليل منها استحضار الكثير [319] .

ولعبد القاهر الجرجاني وقفه مع التشبيه ، بيَّن منها مكانته ومنزلته في البلاغة ، يقول : ((واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ، أن التمثيل إذا جاء في أغلب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من اقدارها ، وشبَّ من ناره وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً))[320].

---

316 ينظر : لسان العرب : مادة (شبّه) .

[317] الإيضاح : للقزويني : 6/3

[318] الصناعتين : لأبي هلال العسكري : 249 .

[319] نظر : خصائص الأسلوب في الشوقيات : 158 .

[320] الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، عبد القادر الرباعي : 203.

وفي فهم أعمق للتشبيه ينظر للتشبيه على ((أنه صورة تجمع بين أشياء متماثلة ، وأساس هذا التماثل كامن في النفس والشعور))[321] . وليس تماثلاً خارجياً فحسب.

ومن الجدير بالذكر إن الحديث عن التشبيه قد يفضي إلى جدلية في أولية أنواع البيان ، لعلاقة ذلك مع بدايات التفكير الإنساني ، وأي هذه الأنواع أقرب إلى الذهن والتصوير، فقد ربطه بعض النقاد بالتفكير العقائدي للأمم ، إلا أن هذه إشارة إلى إن الشعر القديم اغلبه كان يركز في التصوير على التشبيه. وحتى إن أغلب النقاد القدماء كانوا يفضلونه على غيره ، وهذا قد يشير إلى طبيعة التشبيه التي تتسم بوضوح التركيب والمحافظة على خصوصية كل طرف ويزيد من جمال التشبيه – في رأي النقاد – إذ((تكمن بلاغة التشبيه في طرافته وبعد مرماه في كونه ينتقل بالسامع من شيء مألوف إلى شيء طريف يشابهه أو صورة بارعة تماثله . وكلما كان هذا الانتقال بعيد المنال قليل الخطور بالبال كان التشبيه أروع وأدعى إلى إعجاب النفس فيه))[322].

إن القرآن الكريم في أسلوبه المميز ، ولمعرفة الله لخلقه اختار لهم التعبير الأنسب والتصوير الأقرب الذي به تتأثر عقولهم وتثار نفوسهم لتصل الرسالة السماوية إلى كل إنسان فالتشبيه في القران ((وان كان عنصراً بيانياً يكسب النص روعة واستقامة وتقريب فهم،إلا انه يعود ضروريا لأداء المعنى القرآني متكاملاً من جميع الوجوه))[323] .

وسيتضح أثر التشبيه وبلاغته عبر الوقفات التحليلية البلاغية في الآيات الكريمات المتحدثة عن القرآن ، المشتملة على التشبيه لنرى عبرها أسراره البلاغية والجمالية ، يقول الله جلَّ وعلا . مبيناً حال من يُعرض عن القرآن ، ويستكبر عنه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[324].

وفي هذه الآية بيان لحالة هذا الرجل ، الذي تُعرض عليه آيات الله ، وتأتيه وهو في مكانه من دون أن يسعى إليها ومع ذلك يعرض عنها ويستكبر كفراً بها ، وجحوداً لها ، وذلك هو الضلال المبين ، وقد جاء نظم الآية وأسلوبها مصوراً هذا المعنى أتم التصوير ، وذلك من خلال بداية الآية بأسلوب الشرط ، وقد بيَّن هذا الشرط. بما تضمن فعله وجوابه واقع هذا الرجل مع الآيات التي تتلى عليه ، وهو يعرض عنها، ويتولى مستكبراً عن سماعها ، ثم مجيء لفظة (تتلى) فعلاً مضارعاً، وفي ذلك إكمال للمعنى السابق؛ وذلك أن مجيئه بصيغة المضارع دلالة على تجدد حدوث هذا الإستكبار، وتكرر وقوعه ، ذلك بناء الفعل (تتلى) للمجهول ، وفي ذلك دلالة على حدّ هذا الرجل للآيات، ويستكبر عنها لذاتها، إذ لو كان هذا الفعل مبنياً للمعلوم لظُنَّ أن موقفه هذا نحو الآيات بسبب كرهه لتاليها، ولكن في حالة بناء

---

[321] ينظر : ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ، يوسف حليف : 311

[322] علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع ، مختار عطية : 52 .

[323] العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني : 1/ 284 .

[324] لقمان : 7 .

الفعل للمجهول تبين أن هذا البغض لذات الآيات نفسها . كذلك الإضافة في قوله ((آياتنا)) ، وفيها مزيد من إظهار كفر هذا الرجل ، وذلك أن هذه الآيات التي يستكبر عنها هي آيات الله . فضلاً عن التشبيه الوارد في قوله ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾وقد جاء التشبيه لتتضح حالته أتم إيضاح مع القرآن الكريم ، فكأن هذا الرجل المعرض عن الآيات المستكبر عنها لم يسمع أصلاً هذه الآيات وإن هذا الرجل في أذنيه وقر، وهو الثقل والصمم ، المانع من السماع ومن كانت هذه حالته فأنى له أن يلتفت إلى هذه الآيات، أو ينتفع بما جاء منها . وقد فصلت هذه الجملة عن التي قبلها ، فهي مرتبطة بها ارتباطاً يتعذر معه دخول حرف العطف (الواو) بينهما المشعر بتغاير الجملتين ؛ أي إن انعدام السمع دلالة على وجود المانع من وصولها إليه، وهذا المعنى الذي جاءت به الجملة الثانية لتكرار معنى الجملة الأولى، أي شبه الرجل الذي لا يسمع الآيات بحال من فقد السمع؛ وذلك لوجود المرض في أذنيه، وإن هذا المرض ثقيل وشديد بدليل مجيء ((كأن)) في التشبيه الثاني مشددة ثقيلة، فكأن في هذا التشديد إشارة إلى ثقل الوقر في أذنيه [325] .

ومن هنا يتضح أثر التشبيه ودلالته ، فقد أبان عن مكانه القرآن الكريم ، وما اشتمل عليه من الهداية ، ما أبان عن موف من أعرض عنه ، وما هو عليه من الضلال والتكبر والإعراض .

وبعد أن ذكر سبحانه . حالة هذا المُعرض عن القرآن ، بيَّن المآل الذي سيؤول إليه ، وذلك في وله ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[326]. أي أن هذا العذاب مؤلم موجع ، وإن عظم هذا العذاب ودلالة على عظم الذنب الذي إقترفه، فلما كان ذنبه عظيماً كان عقابه عظيماً ، فالجزاء من جنس العمل ، وفي هذا دلالة على عظم القرآن . ومن الجدير بالذكر أن في قوله (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) . إستعارة تهكمية ، ففي هذه الاستعارة تحير له ، وحط من قدره وشأنه .

وفي موضع آخر من الآيات التي تحدثت عن القرآن . يبين الله سبحانه وتعالى موقف المشركين جميعاً من القرآن ، مصوراً إستكبارهم عما جاء فيه ، يقول الله تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً ﴾[327] .

بدأت الآية الكريمة بالإستفهام الإنكاري لحالهم مع القرآن ، وتعجباً من الإعراض عنه ، يدل على ذلك الاستفتاح بصيغة (فما لهم) وقد زاد هذا الإستفهام تعجباً وإنكاراً إن الذي أعرضوا عنه تذكرة لهم، جاء لهدايتهم وصلاحهم ، فكيف يعرضون عن هذه التذكرة ؟ ومن هنا جاء الإستفهام الإنكاري التعجبي دلالة على هذا المعنى ، وقد تقدم الجار والمجرور (عن التذكرة) على متعلقة (معرضين) وفي هذا بيان للأمر الذي أعرضوا عنه ، والكشف عنه ، كما أن فيه اهتماماً للمقدم ، وعناية به ، فيكون في هذا التقديم تسفيه بهم وبعقولهم ، إذ جهلوا قدر هذه التذكرة ، وما رعوها حق رعايتها ، ومن هنا تبين لنا سرُّ هذا

---

[325] ينظر : من بلاغة النظم القرآني : 266 .

[326] لقمان : 7 .

[327] المدثر : 49-52

التقديم ، ودلالته في المقام الذي ورد فيه ، فلم يكن الغرض منه مراعاة الفاصلة والمحافظة عليها ، كما رأى ابن الأثير في كتابة المثل السائر[328].

وفي مجيء لفظة (معرضين) اسماً دلالة على ثبوتهم ودوامهم على هذا الإعراض ، وفي ذلك دلالة على الكفر المتأصل في قلوبهم ، كما في مجيئه إسماً ذم لهم ، وبيان لموقفهم الثابت مع القرآن وهو الإعراض عنه ، ولإيضاح صورة هذا الإعراض ذكر سبحانه تشبه هؤلاء المعرضين عن القرآن بالحُمر ، في قوله: (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ)[329] . أي كأن هؤلاء القوم في إعراضهم عن القرآن ، ونفارهم منه الحُمر حين تفر ممن يريد صيدها ، فلينظر المتلقي إلى هذه الصورة البيانية الرائعة التي صورت حال القوم ، وهم يعرضون عن الحق ، بيد أن هذا الإعراض والفرار لا يزيدهم إلا حسرةً واضطراباً ، فما أشبههم بالحمر الوحشية النافرة التي تهيم على وجهها فارّة من أسد يريد إفتراسها[330].

إذ في هذا التشبيه أسرار بلاغية جمّة ، فقد شُبه القوم في إعراضهم عن القرآن بالحمر ، والسر في اختيار الحمر هنا من دون سواها من الحيوانات هو إشارة إلى بلوغهم الغاية القصوى في الجهل والبلادة والغباء ، فإعراض هؤلاء المشركين عن التذكرة دلالة واضحة على شدة غبائهم وفرط بلادتهم ، وهناك سر آخر في هذا التشبيه ، فقد شبه هؤلاء القوم بالحمر في عَدْوِها وخِفَّتها دلالة على موقف أولئك المعرضين عن القرآن ، وتصوير دقيق لهم وقت سماعهم لتلك الآيات وتلاوتها عليهم ، فما إن يسمعوا آيات الله إلا ونراهم يفرون منها في خِفَّة وطيش، فحالتهم هذه كحالة الحمر وقد لفَّها الذعر ، وشملها حين رأت الأسد مقبلاً عليها ، وهذا سر من أسرار القرآن الكريم ، وخصيصة من خصائص تشبيهاته وهي تلك القيود التي يجعلها في المشبه به (فمن عادة القرآن في رسم صورة التشبيه أن يذكر فيها من القيود وأحوال الصياغة مما يجعلها معبرة تعبيراً دقيقاً عن الغرض، ولهذه القيود والأحوال شأن في صورة التشبيه لا ينتبه إليها إلا المعني بإبراز نواحي الجمال ، وسر البلاغة في الأسلوب) [331].

ومن الجدير بالذكر أن لفظة (مستنفرة) قد قرئت بفتح الفاء وكسرها فعلى قراءة الفتح (مستنفَرة) يكون المعنى : أن هذه الحمر مذعورة منفَّرة ، أي محمولة على النفار ، وعلى قراءة الكسر مستنفرة ، يكون المعنى : نافرة ، وفي هذه القراءة إشارة إلى أن هذا النفور طبيعة غالبة عليها، فهذا دينها وشأنها دائماً، وكلتا القراءتين صحيحتا المعنى وبأيهما قرأ القارئ فمصيب[332] .

---

[328] ينظر : المثل السائر ، ابن الأثير: 36/2 ، وينظر : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د. رجاء عيد : 78 ، وينظر : التصوير البياني ، د. عبد العزيز بن صالح العمار:20-22 .

[329] المدثر : 50-51

[330] ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ، د. فضل حسن عباس : 96/2

[331] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، د. محمد ابو موسى : 486

[332] ينظر : جامع البيان ، للطبري : 168/29

وللأستاذ احمد بدوي وقفة مع هذا التشبيه ، يقول : (ربما بدا أنه يكفي في تصوير إعراضهم وصفهم بأنهم كالحمر ، ولكنه في دقته لا يكتفي بذلك ، فهو يريد أن يصور نفورهم من الدعوة ، وإسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها ، إسراعاً يمضون فيه على غير هدى ، فوصف الحمر بأنها مستنفرة يجري خلفها ، فهي تتفرق في كل مكان وتجري غير مهتدية في جريها ، أو لا ترى في صورة هذه الحمر وهي تجد في هربها لا تلوي على شيء ، تبغي الفرار من أسد يجري وراءها ، ثم الا تبعث في هذه الصورة الهزء بهم والسخرية) [333].

وقد أثر النظم القرآني في هذا السياق لفظة (قسورة) من دون لفظة (أسد) أو ما عداها من أسماء الأسد الكثيرة ، وذلك لما فيها من الإيحاءات والدلالات ما ليس في غيرها من الألفاظ ، ففيها دلالة على القسر والقهر والغلبة ، فقد سمي بذلك ؛ لأنه يقهر السباع ويغلبها ، فضلاً عما فيها من الإيقاع والجرس القوي الخاص بها، ليزيد من هيبته هيبةً ، ويضيف إلى عظمته عظمةً أخرى ، لتحل مكانته في القلوب ، وتجل منه النفوس [334] .

من إعجاز التشبيه في القرآن الكريم : تشبيه الكافر والمشرك والضال:

1 . قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[335] هذا تشبيه لحال المشرك، فهو ساقط عند الله، منتكس بضلالته، لا شأن له، يشبه من خر من السماء، لا شيء يحميه، أو ينقذه من الخطر الذي يحيط به، وهو لا بد ولقع في المعاطب، هاوٍ إلى التهلكة، ستخطفه الطير فتقطعه بمخالبها، وتمزقه إربا إربا، أو ستهوي به الريح في مكان سحيق.

إنها صورة التمزق والضياع التي يعيشها المشرك بالله، الكافر بنعمه، وهي صورة مرعبة مخيفة، تمثل سوء العاقبة وهولا لنهاية، وردت على شكل التشبيه التمثيلي: المشرك في انخلاعه من حماية الله، وتركه المرفأ الأمين، كالساقط من السماء والأخطار التي تحدق به منكل مكان. [336]

2 . قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[337]

هذا تصوير لحال المؤمن الذي يهم أن يرتد في الضلالة بعد الهداية، بتأثير أهل الباطل وإغوائهم وإفسادهم، بحال من استهوته الشياطين وهم أهل الضلال . واستغوته، وزينت له هواه، وحاولت إبعاده عن

---

[333] من بلاغة القرآن ، د. احمد بدوي : 200

[334] ينظر : من بلاغة القرآن : 201 ، والكشاف ، للزمخشري : 188/4 ، والتصوير البياني : 25.

[335] الحج 31

[336] البلاغة العربية . وليد قصاب: 71 . 72

[337] الأنعام 71

أصحابه أهل الحق، فهو حيران مضطرب، لا يدري إلى أين ينحاز؟ إلى أصحابه الذين يدعونه إل بالهدى ويقولون له: تعالى ائتنا، أم الشياطين التي تجذبه بعيدا ؟

صورة تمثل هذه الحيرة وهذا الاضطراب، وتصور هذا التمزق النفسي والضياع الروحي اللذين يتعرض لهما من يحاول أن يبتعد عن هدي الله. إنه عندئذ أسلم نفسه للشياطين، وضع نفسه تحت سلطانهم. إنه تشبيه أخرج الفكرة المجردة المبهمة في هذه الصورة التجسيدية المحسوسة. [338]

3 . قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[339]

هذه صورة رائعة لحال الكافر الذي انسلخ من آيات الله بعد أن أعطيها وهُدي إليها، فكان هذا الانسلاخ سببا في أن يجتاله الشيطان ويتبعه ويضله عن سواء االسبيل، وسيعيش في هذه الحالة . حالة الكفر والضلال . شقيا ظمآن، يعاني الضنك والحرمان، لن يرويه شيء، ولن يشبعه شيء، ولن يقنعه شيء، "وَمَن أَعْرَضَ عَنْ ذِكري فَإنّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكا" وسيعيش في تعب وصغار طوال عمره، وقد شبهه القرآن . في حاله هذه . بحال الكلب الذي لا يعرف السكينة ولا الراحة، فهو يلهث باستمرار، حملت عليه ام لم تحمل، عطش أم روِي، جاع أم شبع.

إنها صورة لسوء الحال والتعب المستمر، جاءت على شكل التشبيه التمثيلي تزرع الرعب والخوف من مصير الكافر، وتنفر من صورة الضلال والارتداد عن الهدى أو الارتكاس في الضلال، أخرجت المعنى المجرد . معنى الانسلاخ من الإيمان . في صورة محسوسة، صورة الكلب المشاهدة المعاينة المعروفة. [340]

2, 2 المجازفي القرآن الكريم:

المجاز شكل من أشكال تداعي المعاني على بساط واحد من اللفظ ، فما أن يذكر لفظ إلا وأكثر من معنى يرد إلى الأذهان ، بين معنى يفهم على الحقيقة يباشر الذهن ، تتابعه معان ذات علاقة مقصودة ، فتتعدد العلاقات ليظهر لدينا أنواع من المجاز كالمجاز العقلي والمجاز المرسل.

وإن للمجاز في القرآن الكريم قدراً رفيعاً ومستوى عالياً من البيان ؛ وذلك نظراً للأثر الكبير الذي يحدثه المجاز في نفس المتلقي ، فهو يأخذ بأنفاسه ، ويبهره بروعة بيانه ، حتى ينسى سجيته ، وأعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال ، حتى أنها ليسمح بها

---

[338] البلاغة العربية . وليد قصاب . ص 77 . 78

[339] لأعراف 176

[340] البلاغة العربية . وليد قصاب . ص 77 . 78

البخيل ، ويشجع بها الجبان[341]. فالدلالة المجازية تحمل معها عنصر الابتكار والدهشة والمفاجأة ، الذي يأخذ بمشاعر المتلقي ويستولي عليها ، حتى يتمكن من إثارة الإنفعال المناسب [342] . فمزيّة المجاز ، ليس في ما يقول مبدعه، أو في ما يثبته فحسب ، وإنما في طريقة إثباته ، (فجوهر المجاز ، إنه ذو شكلينِ)[343].

1 الحقيقة والمجاز

أ- التعاريف:

1.الحقيقة: استعمال اللفظ فيما وضع له، كالأسد إذا أريد به الحيوان المفترس.

2.المجاز: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

3.العلاقة هي: المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وقد تكون المشابهة بين المعنيين وقد تكون غيرها فإذا كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة وإلا فهو مجاز مرسل.

4.القرينة:هي المانع من إرادة المعنى الحقيقي.

ب- الخلاف في وجود المجاز:

اختلف أهل العلم في وقوع المجاز على ثلاثة أقوال:

الأول: أن المجاز واقع في القرآن والسنة ولغة العرب، وهذا الذي عليه الجمهور.

الثاني: أن المجاز واقع في اللغة دون القرآن.

الثالث: إنكار المجاز في القرآن والسنة واللغة، وهذا الذي انتصر له الشيخ ابن تيمية.

ج المجاز المرسل: والمجاز المرسل نوع من أنواع المجاز اللغوي ، وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له ، لعلاقة غير المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي[344]

وسمي مرسلاً من الإرسال وهو الإطلاق ، والفرق بينه وبين المجاز العقلي: أن العقلي واقع في الإسناد ، في إسناد أمر إلى غير ما هو له في الحقيقة ، أما المجاز المرسل فإنه واقع في الألفاظ ، فهي التي تنقل فيه من معناها اللغوي الحقيقي إلى معنى آخر مجازي ، وهو المراد [345].

وله علاقات كثيرة منها:

1.الكلية: هي كون الشيء متضمنا للمقصود ولغيره وذلك فيما إذا ذكر لفظ الكل وأريد منه الجزء نحو: (يجعلون أصابعهم في آذانهم) أي أناملهم.

---

[341] ينظر : المثل السائر : 63/1

[342] ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي : 208

[343] بلاغة الخطاب وعلم النص (سلسلة عالم المعرفة) ، د. صلاح فضل : 138

[344] ينظر : الإيضاح : 82/3

[345] ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 595

2.الجزئية: هي كون المذكور ضمن شيء آخر وذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء وأريد منه الكل كقوله تعالى: (فتحرير رقبة مؤمنة).

3.السببية: وهي كون الشيء المنقول عنه سببا ومؤثرا في غيره وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب وأريد منه المسبب نحو: (ما كانوا يستطيعون السمع) أي القبول والعمل به لأنه مسبب عن السمع.

4.المسببية: هي أن يكون المنقول عنه سببا وأثرا لشيء آخر وذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب وأريد منه السبب نحو: (وينزل لكم من السماء رزقا) أي مطرا يسبب الرزق.

وقد ورد هذا المجاز كثيراً في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم ، وهذه وقفة مع بعض الآيات التي تحدثت عن القرآن لتبين للقارئ بلاغة هذا المجاز ، واثره في تحقيق أغراضه ومعانيه . قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾[346].

ففي هذه الآية يذكر الله سبحانه وتعالى – منَّته وفضله على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى الناس أجمعين بأن يسَّر لهم القرآن وسهَّله حينما أنزله باللسان العربي المبين، فالضمير في (يسرناه) عائد إلى القرآن ، لدلالة المعنى عليه، وإن لم يتقدم ذكره في الكلام فيكون هذا من الإضمار في مقام الإظهار، وفي هذا دلالة على علوق القرآن بالنفوس، وقربه من القلوب، وفي هذه الآية يخبر – سبحانه – رسوله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يسَّر القرآن وسهَّله ، ومَرَّ به إلى الإفهام حينما أنزله بلسان عربي مبين ، فصيح ؛ ليسهل تدبره وتفهمه ، ومن ثم الإقبال عليه والعمل بما جاء فيه ، وإنها لمن أكبر النعم والسنن أن يُنزِل القرآن بهذا اللسان العربي المبين ، يدل على تعظيم لهذا التيسير ، وذلك التسهيل إسناد الفعل (يسرنا) إلى ضمير التعظيم ، وفي هذا تعظيم لهذا التيسير ، وتفخيم له ، ومعنى (اللسان) في هذه الآية : اللغة ، فمعنى قوله (يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ) أي سهلنا القرآن ، وقربناه للإفهام حين أنزلناه بهذا اللسان العربي المبين ، أفضل اللغات وأشرفها . وفي لفظة (اللسان) مجاز مرسل، وعلاقته آلية ، فلما كان اللسان آلة هذه اللغة صح هذا الإطلاق ، وتكمن بلاغة هذا المجاز أن فيه إشارة إلى وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله ، وهو اللسان ، فبه يبلغ الداعية دعوته إلى الآخرين ، ما أن في هذا المجاز إشارة إلى أثر البيان ، وتلك البلاغة في الدعوة إلى الله ، فهذا البيان ركيزة رئيسة في الداعية ، ومن أهم الصفات التي ينبغي أن يكون عليها ، ويتحتم هذا الأمر إذا كان الداعية في قومٍ يفخرون بالبيان ويشتهرون به ، ما هو حال كفار قريش الذين نزل عليهم القرآن بهذا اللسان العربي [347] .

---

[346] مريم : 97

[347] ينظر : جامع البيان : 130/16

ثم بين – سبحانه – الغاية من تيسير القرآن ونزوله بهذا اللسان في قوله ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً ﴾[348].

فهذه إذن غاية تيسير القرآن ، وتوضيح الفاظه ومعانيه ، ما دل على هذه الغاية وتلك الحكمة حرف الجر اللام . بدلالته على التعليل ، وقد اشتملت هذه الآية على عدة أسرار بلاغية ، من ذلك تقديم ذكر البشارة على ذكر الإنذار ؛ وذلك للدلالة على شرف البشارة وفضلها ، كما إنها الأصل في نزول القرآن ، فما نزل القرآن إلا لهداية الناس وإرشادهم ، فإذا آمنوا به كانت لهم البشارة ، وهذا ترغيب من لدن الخالق لعباده المؤمنين ، ومن هنا جاء تقديم البشارة جرياً على الأصل [349] .

كما جاء في نظم الآية تقديم الجار والمجرور (به) في كلا الموضعين ، على المفعول (المتقين ، قوماً لداً) وقد جاء هذا التقديم إشارة إلى عظم القرآن وعلو قدره ، فلما كان القرآن مدار الحديث في هذه الآية ، فهو الذي يسرت ألفاظه ومعانيه ، وهو الذي نزل لهذه الغايات العظيمة ، فلما كان الأمر كذلك جاء تقديم ذكره إشارة إلى هذه المعاني ، كما حذف في هذه الآية المبشر به ؛ ليشمل كل بشرى بشروا بها في الدنيا والآخرة ، وكل خير في دينهم ودنياهم ؛ وكذلك ليدل على عموم البشارة وشمولها جاء بالفعل (ليبشر) فعلاً مضارعاً دلالة على تجدد هذه البشارة ، ما أن المنذر به قد حذف – أيضاً – في هذه الآية ، وحذفه – أيضاً – للعلم به ولظهوره ، فقد توعد الله – سبحانه – هؤلاء الكافرين بربهم ، المعرضين عن كتابه بنار تلظى ، يخلدون فيها ، ما في حذفه تعميم له وتهويل ، ليشمل كل وعيد وتهديد توعدوا به في الدنيا والآخرة ، وفي مجيء الفعل (تنذر) مضارعاً دلالة على هذا المعنى ، فهو إنذار متتابع لا ينقطع عنهم أبدا .

وقد جاء الطباق بين لفظتي (بشر وتنذر) ليبين أن الناس انقسموا حول القرآن قسمين : متقين وهم الذين يبشرون به ، وإلى قوم أهل عناد ، وهم الذين ينذرون به .

وان في لفظة (المتقين) مجازاً مرسلاً ، وعلاقته اعتبار ما سيكون فقد ذكر القرآن إن الذين يبشرون بالقرآن متقون ، فهم حينما آمنوا بالقرآن وأقبلوا عليه فقد إنتفعوا به ؛ فصاروا متقين .

وتكمن بلاغة هذا المجاز إن فيه ذكراً للمآل الذي سيؤولون إليه ، وان في ذكر هذا الوصف حضاً لهم إلى الإقبال على هذا الكتاب والاستمساك به ؛ لان في هذا طريقاً لهم حتى يكونوا متقين .

وفي موضع آخر يذكر – سبحانه وتعالى – إنزاله للقرآن العظيم ، مبيناً ما انطوى عليه من عظائم الأمور ، والغاية من هذا الإنزال قائلاً : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[350] .

---

[348] مريم : 97

[349] ينظر : جامع البيان : 133/16

[350] الإنعام : 92 .

جاء ذكر الكتاب هنا بالإشارة في قوله (هذا) وذلك دلالة على حضوره ، وأنه كالمشاهد الذي تبصره العيون ، فهي إشارة تعظيم له ، وتفخيم لشأنه ، وقد ناسب عظمة الكتاب وجلالة قدره إن يسند فعل نزوله إليه – سبحانه – بضمير التعظيم في قوله (أنزلناه) فقد جاء بهذا الفعل مسنداً إلى ضمير العظمة إشارة إلى عظمة هذا الكتاب ، ثم ذكر – سبحانه وتعالى – نعت الكتاب الذي أنزله ، وعظم أمره بأنه (مبارك) وكأن ما سبق هذا الوصف تمهيداً له ودلالة عليه ، وقد جاء لفظة (أنزلناه) بهذه الصيغة دلالة على تجدد هذا الإنزال ، وتكرر حدوثه ، وهذا بخلاف قوله (مبارك) فقد جاءت إسماً لون هذه الصفة ثابتة للقرآن لا تفارقه أبدا ولا تنفك عنه ، فبركة القرآن ثابتة مستقرة ، والمراد بأم القرى مكة ، سميت بهذا الاسم تشريفاً لها ، وبياناً لمكانتها من بين سائر الأماكن والبقاع[351].

ويتجلى المجاز المرسل في قوله ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾[352]. بعلاقة المكانية ، فقد أطلق هذا اللفظ وأريد به أهل المكان ، أي لتنذر أهل أم القرى ، وذلك إن الديار والأبنية لا تنذر ، وإنما أهلها هم الذين ينذرون ويخوفون ، وتكمن بلاغة هذا المجاز أن فيه دلالة على عظم هذا الإنذار ، كما أن فيه دلالة على عظم هذا الأمر الملقى على عاتق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكأن المراد منه غاية الإنذار وأكمله ، وقد اقتصر في هذه الآية من غاية نزول القرآن على الإنذار دون البشارة ليتلاءم هذا ويتوافق مع حال المشركين ، فهم بحاجة إلى هذا الإنذار البالغ في القسوة والشدة كما إن حذف المنذر به يؤكد هذا المعنى وتعضده ، وذلك بغية تهويله وتفخيمه ، فإن في حذفه تعميماً له ، إلى جانب هذا المعنى ذكر الله – سبحانه – موقف المؤمنين من هذا الكتاب الذي أنزله في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾، فإذا كفر به المشركون واعرضوا عنه فقد آمن به من هم خير مهنهم وأفضل ، وهم المؤمنون ، وقد جاء الإخبار عنهم بصيغة المضارع (يؤمنون) ، وفي هذا تجدد إيمانهم بالقرآن ، أما سبب إيمانهم والباعث له فهو إيمانهم بيوم الحساب والجزاء والبعث ، والقرآن هو طوق النجاة الموصل إلى الأمن والأمان في الآخرة ، على عكس الكافر بالقرآن ، فان سبب كفره هو عدم إيمانه بهذا اليوم ، فالكافر لا يخاف العاقبة وسوء المصير.

ثم ذكر الله سبحانه . صفة أخرى لهؤلاء المؤمنين وذلك في قوله : ﴿ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ جاء ذكر الصلاة هنا ، لشرفها ومكانتها في الإسلام ، فهي عمود الدين ، فإن قبلت قبل سائر عمله ، وإن رُدت رُدَّ سائر عمله.

وفي تقديم الجار والمجرور (على صلاتهم) على متعلقة (يحافظون) إشارة إلى المعنى السابق ، ودلالة على عظم هذه الصلاة ، فهي اشرف العبادات بعد الإيمان ، وقد جاءت لفظة (يحافظون) فعلاً

---

[351] ينظر : الكشاف : 35/2

[352] الأنعام : 92

مضارعاً ، وذلك لإفادة تجدد حدوث هذا الفعل ، وفي هذا ثناء على المؤمنين فهم يحافظون على الصلوات ، ويؤدونها في أوقاتها ، ويواظبون على أدائها على أكمل وجه كما أمر الله .

3, 2 الاستعارة في القرآن الكريم :

الاستعارة من أكثر استعمالات اللغة فاعلية فتدخل في جانب التصوير والتأثير ، وفي تطوير اللغة وبث الحياة فيها ، فهي ((تتصدر بشكل كبير بنية الكلام الإنساني ، إذ تعد عاملا رئيسا في الحفز والحث وأداة للتعبير ، ومصدرا لترادف تعدد المعنى ، ومتنفسا للعواطف والمشاعر الانفعالية ، ووسيلة لملء الفراغات في المصطلحات))[353].

وقد لا نجانب الصواب ، إذا قلنا إن القدماء كانوا ينظرون إلى الاستعارة بشيء من الريبة ، مع إنها تحقق تأثيرا في داخل النص وتفسح المجال بشكل واسع أمام المبدع لتكوين لغته الخاصة من خلال لحظات الكشف لتجليات النص ، إلا إن حرصهم على البنية اللغوية ((والبحث عن التناسب العقلي بين طرفي الاستعارة))[354] . جعلهم يقفون موقفا متحفظا من الاستعارة ؛ فافقدها ذلك الكثير من خصوصيتها وقربها من التشبيه علما إن ما يصلح له التشبيه قد لايصلح له الاستعارة والعكس صحيح ؛ إذ إن لسياق الحال وتداعيات المقام وطبيعة المتلقي – المخاطب– اثرا في تداعيات الأسلوب الأنسب في الوصول إلى بنائية الصورة الفنية وتحقيق التأثير المطلوب [355] .

أما الاستعارة في القرآن فقد بلغت حد الإعجاز فيه ، فهي لون من ألوان التصوير التي اتخذها ، وأداة من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه .

والاستعارة لغةً : رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر ، ومن ذلك قولهم : استعار فلان سهماً من كنانته ، أي رفعه وحوَّله منها إلى يده ، فهي مأخوذة من العارية ، وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر[356].

ومن هذا المعنى اللغوي جاء تعريف الاستعارة لدى علماء البلاغة والبيان ، فقد جاء في تعريف الاستعارة إنها ((رد اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي))[357] .

---

[353] الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، يوسف أبو العدوس : 11.

[354]الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور : 204.

[355] ينظر: م. ن : 205 .

[356] ينظر: لسان العرب

[357] الإيضاح 81/3 وينظر : علم البيان ، د.بسيوني فيود : 196 ، وعلم البيان ، عبد العزيز عتيق : 167

وهذا هو تعريف الاستعارة و((لا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن الاستعارة هي من أدق أساليب البيان تعبيراً ، وأرقها تأثيراً وأجملها تصويراً ، وأكملها تأدية للمعنى))[358].

و تنقسم إلى قسمين:

الاستعارة المفردة : و يكون فيها اللفظُ المستعارُ مفردًا.

وتأتي في الاستعارة التصريحية و الاستعارة المكنية.

الاستعارة المركّبة :و يكون فيها اللفظ المستعار مركبا ، و تأتي في الاستعارة التمثيلية.

و هذه الاستعارة تحتاج إلى قرينة تسمى : قرينةَ الاستعارة ، و هي التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، أي: تصرف الذهن عن المعنى الحقيقي للفظ المستعار إلى المعنى المجازي.

وقد تحدث العلماء عن الاستعارة وأطنبوا فيها بذكر أقسامها ، وشواهدها المتعددة من القرآن الكريم ، وشعر العرب[359] ،ومن هؤلاء العلماء نذكر:

-1 عند (الجاحظ) : قسيمة الشيء باسم غيره إذا قام مقامه.

-2عند (المبرد): نقل اللفظ من معنى إلى معنى.

-3عند (ابن قتيبة) : اللفظ المستعمل في غير ما وضع له إذا كان المسمى له بسبب من الآخر أو كان مجاورا له أو مشا كلا.

-4عند (ثعلب): أن يستعار الشيء اسم غيره أو معنى سواه.

-5عند (ابن المعتز): استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها.

-6عند (علي بن عبد العزيز الجرجاني) : ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل و نقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها.

-7عند (الرماني): تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة

-8عند (أبو هلال العسكري): نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره

-9عند (عبد القادر الجرجاني) : أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، و ينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هنا كالعارية.

-10عند(فخر الدين بن الخطيب):ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه

-11عند (ابن الأثير): نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه

-12عند (السكاكي) : أن تذكر أحد طرفي التشبيه و تريد الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به

---

[358] البلاغة فنونها وأفنانها : 158/2

[359] ينظر : أسرار البلاغة : 27 ، ومعجم المصطلحات البلاغية : 82 ، وغيرها

-13عند (ابن أبي الإصبع): تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه

-14عند (الخطيب القزويني : (الاستعارة هي ما كانت علاقته _المجاز_ تشبيه معناه بما وضح له

-15عند (النمي) : تصييرك الشيء شيء وليس به و جعلك الشيء للشيء و ليس هو بحيث لا يلحظ معنى التشبيه لا صورة و لا حكما

وقد سجلت الاستعارة في القرآن الكريم حضوراً كبيراً ، فهو ((يعمد إلى الصورة الاستعارية التي رسمها فيعطيها ألوانها وظلالها ، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار ، فإذا هي شاخصة تسعى))[360] .

ومن شواهد الاستعارة في الآيات الكريمات المتحدثة عن القرآن، قوله تعالى:﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[361] .

يذكر الله . سبحانه وتعالى . في هذه الآية إنزاله للقرآن العظيم في معرض الامتنان على هذه الأمة بالقرآن الكريم ، وبعد أن ذكر . سبحانه . إنزاله لهذا الكتاب ، وبعد أن عظمه ، وبين قدره ، ذكر الغاية من نزوله في قوله : { لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }، فقد نزل القرآن لهذه الغاية ، وهي غاية عظيمة تتناسب مع عظمة القرآن ، وجلالة قدره .

وقد دل على هذه الغاية ، وأشار إليها حرف اللام في قوله (لتخرج) بدلالته على التعليل ، فهذه هي غاية نزول القرآن) والهدف المنشود من ورائه ، وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور .

وقد قرئ (لتخرج) بالتاء ، والمراد به رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالياء ، والمراد به الكتاب الذي أنزله الله[362]، وفي إسناد إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مجاز عقلي بعلاقته السببية ، لكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي يبلغهم القرآن ، ويتلوه عليهم ، كما أن قوله (الناس) فيه مجاز مرسل بعلاقة الكلية ، وذلك أن التعريف الذي فيها للجنس ، يشمل الناس كلهم ، ولكن لا يخرج من هذه الظلمات إلى النور إلا من هدى الله قلبه لهذا الدين ، وقد ذكرت لفظتا (الظلمات والنور) على جهة الاستعارة للكفر والإيمان ، والضلالة والهدى ، أي أن الله ـ سبحانه وتعالى . يخاطب رسوله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) مخبراً إياه أنه أنزل عليه القرآن ليخرج به من آمن ، واستمسك به من الكفر الذي هو كالظلمة بل أشد إلى الإيمان الذي هو كالنور بل اشد إضاءة وإشراقا . والاستعارة في هذه الآية تصريحيه أصلية ، وسميت بذلك ، لأنه صُرح فيها بلفظ المشبه به ، فهي كما عرفها السكاكي ((وأن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه وهو المشبه به))[363]

---

[360] التعبير الفني في القرآن : 197

[361] إبراهيم : 1

[362] ينظر : الكشاف ، 6/2 ، والتصوير البياني : 70 .

[363] مفتاح العلوم : 176

، وسميت أصلية ، لأن اللفظ المستعار فيها اسم جامد غير مشتق ، يدل على هذا قول السكاكي ((الاستعارة الأصلية هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وأسد ، وكقيام وقعود))[364] .

وتكمن بلاغة هذه الاستعارة ودلالتها أن فيها إبرازا للمعنى المراد إثباته وتقريره هنا وإيضاحه ، فقد أبرزت الاستعارة هذه المعاني المعقولة الخفية وأبرزتها وأظهرتها في صورة محسوسة حية متحركة كأن العين تراها ، واليد تلمسها ، فقد استعير في هذه الآية الظلمات للكفر والضلال بجامع عدم الاهتداء في كل منهما ، كما استعير النور للإيمان والهدي بجامع الهداية والرشاد فيهما معاً ، وفي استعارة الظلمات للكفر إشارة إلى أن هذه الظلمات فقد تقود أصحابها إلى دار الظلمات والدركات ، وهي النار ، كما أن هذا النور يقود أصحابه إلى دار الكرامة والدرجات وهي الجنة ، وقد زاد هذه الاستعارة قوة وجمالاً ، وأظهر هذا المعاني الكامنة فيها وأكدها ما تمَّ فيها من طباق بين هاتين اللفظتين (الظلمات والنور) ففي الطباق بين هذين المعنيين المتضادين إشارة إلى واقع من كفر بالقرآن واعرض عنه ، كما أن فيه ذكراً للحالة التي يؤول إليها من يؤمن بالقرآن ، فيكون في هذا ترغيب بالإيمان بالقرآن ، وتنفير من الكفر به ، والإعراض عنه ، ثم بين . سبحانه وتعالى . أن هذا الأمر تمَّ بإذنه وتوفيقه في قوله : { بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } وقد أكد هذا المعنى ما جاء في نظم الآية من إظهار في مقام الإضمار ، وذلك أن مقتضى ظاهر الآية أن يقال : (بإذننا) لدلالة قوله (أنزلناه) في صدر الآية ، ولكن جاء لإظهار في هذا السياق ليبين ما تضمنه الاسم المظهر ، وذلك أن في ذكر اسم (الرب) هنا في قوله (ربهم) دلالة على أن إنزال الكتاب ، وإخراج الناس به من الظلمات إلى النور من دلائل لطفه بعباده .

وفي لفظة (صراط) استعارة تصريحه أصلية أخرى ، والمراد به الإسلام ، فقد استعيرت لفظة (صراط) للدين الحق ، وهو الإسلام ، وتكمن بلاغة هذه الاستعارة أن فيها تصويراً لهذا الدين ، وذلك بإخراجه من المعقول إلى المشاهد المحسوس ، كما أن فيه دلالة بما تضمنته هذه اللفظة من إيحاء على طبيعة هذا الدين الذي لا يزيغ بصاحبه ، ولا يضل به سواء السبيل ، وقد يزاد هذا الصراط عظمة وفخامة أن أضيف إليه . سبحانه . في قوله (صراط العزيز الحميد) فهو صراط من عزَّ فغلب ، ومن منَّ وتفضل فحُمد[365]

ومن شواهد الاستعارة في الآيات المتحدثة عن القرآن قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[366] .

في هذه الآية أمرُ من الله . جل وعلا . تدبير القرآن وتفهمه ، وقد بدأت الآية بالاستفهام الإنكاري التوبيخي الذي يكشف واقعهم مع القرآن ، ففي هذا الاستفهام ، دلالة على ما هم فيه من الإعراض عن القرآن ، وما وصل إليه إعراضهم وهجرهم له من ترك تدبره ، والنظر في معانيه ، وفي مجيء لفظة

---

[364] مفتاح العلوم: 179

[365] ينظر : الكشاف : 6/4.

[366] محمد : 24

(يتدبرون) بهذه الصيغة إشارة إلى أن المراد منهم صرف همهم إلى القرآن ، وليهتدوا بهديه ، كما أن مجيئ هذه اللفظة (يتدبرون) فعلاً مضارعاً دلالة على أن المطلوب منهم تكرار هذا التدبر ، ثم بين سبب إعراضهم عن القرآن في قوله: { أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } و(أم) هنا للإضراب الانتقالي ، انتقال من ذكر واقعهم مع القرآن إلى بيان سبب الإعراض عن القرآن ، والهمزة هنا للتقرير ، وفي ذلك شهادة عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يصل إليها القرآن والمتأمل لنظم هذه الآية يجد أن الإقفال جاءت مضافة إلى ضمير تلك القلوب في قوله (أقفالها) ، فقد جاءت الإضافة هنا مبينة عظم هذه الإقفال ، وشدة غلظتها ، فهي إقفال خاصة تليق بقسوة القلوب التي أعرضت عن القرآن ، ففي هذه الإضافة تمييز لهذه الإقفال وتخصيص لها ، فليست هي الإقفال المعروفة ، وإنما هي إقفال الكفر التي لا تنفتح أبد[367].

وتكمن بلاغة القرآن وإعجازه أن ذكر هذا المعنى بطريق الاستعارة المكنية التخيلية وهي التي حذف فيها المشبه به ، واكتفي بذكر شيء من لوازمه ، فهي ((أن يُغمر التشبيه في النفس ، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به))[368] .فقد شبهت قلوب هؤلاء بالأبواب والصناديق المغلقة ، وحذف المشبه به ، وأبقى شيء من لوازمه ، وهي الأقفال ، فهي استعارة مكنية لعدم التصريح بالمشبه به ، وتخيلية لإضافة الأقفال إلى القلوب ، وتكمن بلاغة هذه الاستعارة ، وتظهر دلالاتها أن فيها إشارة إلى واقع هذه القلوب مع القرآن الكريم ، وذلك أن القفل مع الأبواب كالطبع على القلوب ، فقلوب هؤلاء بمنزلة الأبواب المغلقة المحكم إغلاقها ، وإن لم يُرفع عنها الطبع والختم فستظل على كفرها وإعراضها عن القرآن .

4,2الكناية في القرآن الكريم :

الكناية شكل من أشكال التعبير بالتلميح يجوز أن يجمع بين الحقيقة والمجاز ، فالكناية ((كل لفظ دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز)) .

ويكون المقصود المعنى المجازي ولا يمتنع أن يفهم المعنى الحقيقي ، فالكناية إذا تتعلق بالمعاني وليست بالألفاظ ((فلا يكنى باللفظ عن اللفظ ، وإنما يكنى بالمعنى عن المعنى)) .

ومن عادة القران الكريم التعبير بالكناية عن معان بألفاظ تميل إلى الإشارة والتلميح ليس لسوء ألفاظها ، وإنما اختيار الأسلوب الأفضل والتعبير الألطف ، ومن هنا تتبع جماليات التعبير بالكناية ؛ إذ لابد أن يكون في كل نوع من التعبير البياني جانبا من الجمال يكمن حينا ويتجلى أحيانا حسب السياق والنوع البياني ، والتصوير بأسلوب الكناية ((يحس السامع معه جمالا ويجد للتعبير ما لايجده للتعبير الصريح ؛ وذلك لان الكناية تعرض المعنى مصورا بصورة محسوسة فيزداد تعريفا ووضوحا)).

---

[367] ينظر : الكشاف 563/3

[368] الإيضاح : 173/3

والقران الكريم إذ يستخدم الكناية ((فانه يرسم بها موقفا ، أو يجسم معنى على عادته في التصوير وهو قبل أن يصور معنى أو فكره ، فانه يصور نفسا إنسانية ، انكشفت حالها ، وما تخبئه من إسرار)).

أما الكناية في القرآن فإنها ((فوق طاقة بني الإنسان ، لما فيها من روعة التعبير ، وجمال التصوير ، وألوان الأدب والتهذيب ، ما لا يستقل به بيان ، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن))[369] .

والكناية هي أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، يقال : كنى عن الأمر بغيره ، يُكني كناية ، إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه مأخوذة من الستر والتغطية ، يقال : كنيتُ الشيء إذا سترته ، وسميت بهذا الاسم ، لأنها تستر معنى ، وتُظهر غيره[370].

ومن هذا المعنى اللغوي يتضح معناها في اصطلاح أهل البلاغة والبيان ، وقد عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله : ((الكناية : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به ، ويجعله دليلاً عليه))[371] .

ولأسلوب الكناية أثره الخاص الذي يميزه عن غيره من أساليب البيان ، وتكمن بلاغة الكناية في كونها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وتذكر القضية ، وفي طياتها برهانها الشاهد عليها ، فهي تمتاز بالإقناع والإمتاع ، ومتى ما جاء المعنى مصحوباً بدليله كان أشد أثراً وتأثيراً ، وأقوى إقناع[372].

فمن شواهد الكناية في الآيات المتحدثة عن القرآن ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[373] .

بدأت الآية بأسلوب الشرط بـ(إذا) وفي هذا دلالة على ارتباط جواب هذا الشرط بفعله ، فكلما سمعوا شيئاً من القرآن ، رأينا المنكر في وجوههم من هذه القراءة ، يدل على هذا المعنى ويؤكده مجيء لفظة (يُتلى) فعلاً مضارعاً دلالة على تجدد هذه التلاوة . كما أن في مجيء الفعل (تتلى) فعلاً مضارعاً مزيد تشفيع عليهم، وتسفيه لهم بأن هذا موقفهم دائماً وأبداً ، وفي تقديم الجار والمجرور (عليهم) إشارة إلى إنهم هم المقصودون من هذه التلاوة ، فما تليت هذه الآيات إلا لهم ، ومن أجلهم ، لعلهم يصغون إليها ، ثم بيَّن الله . جل وعلا . أن هذا القرآن الذين كفروا به أنه (آياتنا بينات) وثمة دلالة وإيحاء من اختيار لفظة (آياتنا) فلم يقل مثلاً : القرآن وإن كانت تؤدي المعنى ، ألا أن في لفظة (آياتنا) إشارة إلى وضوح القرآن ، وشدة بيانه ، فهو كالعلامة التي يهتدي بها السائرون ، ثم أن هذه الآيات بينات بكل ما تحويه هذه الصفة من دلالات وإيحاءات ، وإن في هذا الوصف (بينات) تفظيعاً لإنكارهم إياه ، لعدم

---

[369] الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم ، د . محمود السيد شيخون : 87

[370] ينظر : لسان العرب : مادة كني

[371] دلائل الإعجاز : 66

[372] ينظر : الكناية والتعريض ، لأبي منصور الثعالبي .

[373] الحج : 72

تضمنه ما يدعو إلى الإنكار والإعراض عنه ، أي إنهم ما كفروا به ، واعرضوا عنه بسبب غموضه ، أو خفاء أمره ، بل كفروا به لسبب عائد إلى ذواتهم ، ولأمر راجع إليهم ، وقد بينها أتم بيان ما جاء في هذا النظم من إظهار في مقام الإضمار في قوله : ((تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر)) وذلك أن مقتضى الظاهر أن يقال : تعرف في وجوههم ، ولكن جاء الإظهار ليبين باعث الإنكار ، كما أن في هذا الإظهار شهادة عليهم بالكفر ، ووصمهم به[374] ، وهذا كله كناية عن شدة غيظهم وغضبهم على من يتلو عليهم القرآن ، وفرط إنكارهم لهذا الحق المتلو عليهم ، حتى ظهرت آثاره على وجوههم ، فيكون في هذا التعبير كناية عن امتلاء قلوبهم بالغيظ والإنكار ، وإنهم بلغوا بذلك أمراً عظيماً حتى تجاوز الحقد والغيظ قلوبهم ، كما في هذا التعبير كناية عن شدة بغظهم للآيات ، وعظيم كرههم لها ، ولأصل هذه الكناية عدل بهذا النظم القرآني عن قوله (أنكروه ، أو ينكرونه) ، مع أنه أشد اختصاراً في العبارة ، فقد أوثر هذا الأسلوب لما تضمن من هذه الكناية التي تكشف موقف هؤلاء الكفرة من القرآن[375].

وبعد فهذه خاتمة هذا البحث ، إذ تتجلى كثير من الخصائص البيانية للآيات الكريمات ، فعند النظر في التشبيه الوارد فيها نجد أن لهذه التشبيهات أهدافاً تسعى إلى تحقيقها ، وأغراضا تحرص أن تصل إلى غاياتها ، فقد كان التشبه بهدف إلى التأثير في العاطفة ، فكثيراً ما يأتي التشبيه في الترغيب والترهيب ، وكان للمشركين والمنافقين نصيب وافر من التشبيه ، فقد كشف التشبيه واقعهم ، وبين حالهم ، مصوراً كذلك ، وقع القرآن على نفوسهم ، وكيف كانوا يقابلون القرآن بالنفور والإعراض ، وقد كان التشبيه جزءاً أساسيا لا يتم المعنى إلا به فلم يكن عنصراً إضافياً في الجملة أو أنه يقوم بدور ثانوي ، كما أن عناصر التشبيه مستمدة من الطبيعة نفسها التي تقع تحت أبصار الناس ، ومن بين أظهرهم تكونت أجزاء تلك التشبيهات .

❖ **أسباب الكناية** ولها أسباب :

أحدها :التنبيه على عظم القدرة كقوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[376]كناية عن آدم.

ثانيها :فطنة المخاطب كقوله تعالى في قصة داود :{ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}[377] فكنى داود يخصم على لسان ملكين تعريضا.

وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ فإنه كناية عن ألا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة.

---

[374] ينظر : الكشاف : 22/3 ، والتصوير البياني : 106

[375] ينظر : م . ن : 23/3

[376] الأعراف 189

[377] ص 22

وكذا قوله تعالى :﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ. ﴾[378]

وقوله تعالى :﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً ﴾[379] الآيات فان هذه تسلية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و المعنى: لا تظن أنك مقصر في إنذارهم فإنا نحن المانعون لهم من الإيمان فقد جعلناهم حطبا للنار ليقوى التذاذ المؤمن بالنعيم كما لا تتبين لذة الصحيح إلا عند رؤية المريض

ثالثها :ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه كقوله تعالى﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾[380] فكنى بالمرأة عن النعجة كعادة العرب أنها تكني بها عن المرأة

وقوله :﴿ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ ﴾[381]كنى بالتحيز عن الهزيمة.

وقوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾[382] كنى بنفي قبول التوبة عن الموت على الكفر لأنه يرادفه.

رابعها :أن يفحش ذكره في السمع فيكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع قال تعالى :{ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً}[383] أي: كنوا عن لفظه ولم يوردوه على صيغته.

ومنه قوله تعالى في جواب قوم هود :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾[384] و قوله: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[385]فكنى عن تكذيبهم بأحسن.

ومنه قوله :﴿ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾[386] فكنى عن الجماع بالسر.

وفيه لطيفة أخرى لأنه يكون من الآدميين في السر غالبا ولا يسره –ما عدا الآدميين– إلا الغراب فانه يسره ويحكى أن بعض الأدباء أسر إلى أبي علي الحاتمي كلاما فقال: ليكن عندك أخفى من سِفاد الغراب ومن الراء في كلام الألثغ فقال: نعم يا سيدنا ومن ليلة القدر وعلم الغيب.

ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس والملامسة والرفث والدخول والنكاح ونحوهن قال تعالى :﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾[387] فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشرتين

وقوله تعالى :﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء ﴾إذ لا يخلوا الجماع عن الملامسة.

---

[378] البقرة 23

[379] يس 8

[380] ص 23

[381] الأنفال 16

[382] عمران 90

[383] الفرقان 72

[384] الأعراف 66

[385] الاعراف 67

[386] البقرة 235

[387] البقرة 187

و قوله في الكناية عنهن :﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [388]واللباس من الملابسة وهي الاختلاط والجماع.

وكنى عنهن في موضع آخر بقوله: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[389]

وقوله تعالى :﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [390] كناية عما تطلب المرأة من الرجل.

وقوله تعالى﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفا﴾[391].

ومنه قوله تعالى في مريم وابنها :﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ}[392] فكنى بأكل الطعام عن البول والغائط لأنهما منه مسببان إذ لابد للآكل منهما لكن استقبح في المخاطب ذكر الغائط فكنى به عنه

فإن قيل :فقد صرح به في قوله تعالى :﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾. [393]

قلنا :لأنه جاء على خطاب العرب وما يألفون والمراد تعريفهم الأحكام فكان لا بد من التصريح به على أن الغائط أيضا كناية عن النجو وإنما هو في الأصل اسم للمكان المنخفض من الأرض وكانوا إذا أرادوا قضاء حاجتهم أبعدوا عن العيون إلى منخفض من الأرض فسمي منه لذلك ولكنه كثر استعماله في كلامهم فصار بمنزلة التصريح.

وما ذكرناه في قوله تعالى :{كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ} هو المشهور وأنكره الجاحظ وقال: بل الكلام على ظاهره ويكفي في الدلالة على عدم الإلهية نفس أكل الطعام لأن الإله هو الذي لا يحتاج إلى شيء يأكله ولأنه كما لا يجوز أن يكون المعبود محدثا كذلك لا يجوز أن يكون طاعما قال الخفاجي وهذا صحيح.

ويقال لهما: الكناية عن الغائط في تشنيع وبشاعة على من اتخذهما آلهة فأما قوله تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾[394] فهو على حقيقته.

قال الوزير ابن هبيرة :وفي هذه الآية فضل العالم المتصدي للخلق على الزاهد المنقطع فإن النبي كالطبيب والطبيب يكون عند المرضى فلو انقطع عنهم هلكوا.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[395]كنى به عن مصيرهم إلى العذرة فإن الورق إذا أكل انتهى حاله إلى ذلك.

---

[388] البقرة 187

[389] البقرة 223.

[390] يوسف 23

[391] الأعراف 189

[392] المائدة 75

[393]المائدة 6

[394] الفرقان 20

[395] الفيل 5

وقوله تعالى﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾[396] أي: لفروجهم فكنى عنها بالجلود على ما ذكره المفسرون.

فإن قيل :فقد قال الله تعالى :﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾[397] فصرح بالفرج؟

قلنا :أخطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها وهي كناية عن فرج القميص أي لم يعلق ثوبها ريبة فهي طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة: الكُمَّان والأعلى والأسفل وليس المراد غير هذا فان القرآن أنزه معنى وألطف إشارة وأملح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل لاسيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضيف القدس إلى القدوس ونزهت القانتة المطهرة عن الظن الكاذب والحدس ذكره صاحب التعريف والإعلام.

ومنه وقوله تعالى :﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[398]يريد الزناة

وقوله تعالى :﴿ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾[399]فإنه كناية عن الزنا وقيل: أراد طرح الولد على زوجها من غيره لأن بطنها بين يديها ورجليها وقت الحمل.

وقوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾[400] وإنما يوضع في الأذن السبابة فذكر الأصبع وهو الاسم العام أدبا لاشتقاقها من السب ألا تراهم كنوا عنها بالمسبحة والدعاءة وإنما يعبر بهما عنها لأنها ألفاظ مستحدثة قاله الزمخشري.

وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في شرح الإلمام: يمكن أن يقال إن ذكر الإصبع هنا جامع لأمرين أحدهما التنزه عن اللفظ المكروه والثاني حط منزلة الكفار عن التعبير باللفظ المحمود والأعم يفيد المقصودين معا فأتى به وهو لفظ الإصبع وقد جاء في الحديث الأمر بالتعبير بالأحسن مكان القبيح كما في حديث: "من سبقه الحدث في الصلاة فليأخذ بأنفه ويخرج" أمر بذلك إرشادا إلى إيهام سبب أحسن من الحدث وهو الرعاف وهو أدب حسن من شرع في ستر العورة وإخفاء القبيح وقد صح نهيه عليه السلام.

أن يقال لشجر العنب: الكرم وقال" :إنما الكرم الرجل المسلم "كره الشارع تسميتها بالكرم لأنها تعتصر منها أم الخبائث.

وحديث" :كان يصيب من الرأس وهو صائم "قيل: هو إشارة إلى القبلة وليس لفظ القبلة مستهجنا وقوله : "إياكم وخضراء الدمن."

خامسها : تحسين اللفظ كقوله تعالى :﴿ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[401] ، وقوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[402].

---

[396] فصلت 21

[397] الانبياء91

[398] النور 26

[399] الممتحنة 12

[400] البقرة 19

[401] الصافات 49

سادسها: قصد البلاغة كقوله تعالى : ﴿ اومن ينشا في الحلية وهو في الحصام غير مبين﴾[403], فانه سبحانه كنى عن النساء بانهن ينشان في الترفه و التزين و التشاغل عن النظر في الامور و دقيق المعاني ولو اتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك و المراد نفي ذلك { اعني الانوثة} عن الملائكة و كونهم بنات الله تعالى الله عن ذلك.

و قوله : ﴿ فما اصرهم على النار﴾[404], اي هم في التمثيل بمنزلة المتعجب منه بهذا التعجب

سابعها: قصد المبالغة في التشيع كقوله تعالى حكاية اليهود لعنهم الله ﴿ و قالت اليهود يد الله مغلوقة﴾[405]فان الغل كناية عن البخل كقوله تعالى ﴿ و لا تجعل يدك مغلوقة الى عنقك ﴾[406], لان جماعة كانو متمولين فكذبوا النبي صلى الله عليه و سلم فكف الله عنهم ما اعطاهم وهو سبب نزولها.

و اما قوله تعالى: ﴿ و علت ايديهم ﴾[407]فيحمل على المجاز على وجه الدعاء و المطابقة للفظ و لهذا قيل: إنهم أبخل خلق الله و الحقيقة أنهم نعل أيديهم في الدنيا بالإسار و في الآخرة بالعذاب و أغلال النار.

و قوله: ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾[408] ،كناية عن الكرمه و ثنى اليد وإن أفردت في اول الآية ليكون أبلغ في السخاء و الجود.

ثامنها: التنبيه على مصيره كقوله تعالى: ﴿ تبت يدا أبي لهب و تبَّ ﴾[409]، أي جهنميٌّ مصيره إلى اللهب و كقوله: ﴿ حمالة الحطب ﴾ أي نمامة و مصيرها إلى تكون حطابا لجهنم.

تاسعها: قصد الإختصار و منه الكناية عن أفعال متعددة بلفظ فعل كقوله تعالى : { لبئس ما كانوا يفعلون}[410]و قوله عزَّ و جل: ﴿ و لو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾[411]و قوله: ﴿ فإن لن تفعلوا ولن تفعلوا﴾[412]،أي فإن لم تأتوا بسورة مثله و لن تأتوا.

عاشرها: أ يعمد إلى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز فتعبر بها عن مقصودك و هذه الكناية استنبطها الزمخشري و خرج عليها قوله

---

[402] المدثر 4

[403] الزخرف 18

[404] البقرة 175

[405] المائدة 64,

[406] الاسراء 29

[407] المائدة 64

[408] المائدة 64

[409] المسد 1

[410] المائدة79

[411] النساء 66

[412] البقرة 24

تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾[413] ، فإنها كناية عن الملك لأن الإسواء على السرير لا يحصل مع الملك فجعلوه كناية عنه.
وكقوله تعالى﴿ و الارض جميعا قبضته يوم القيامة﴾[414]، الاية كنلية عن عظمته و جلالته من غير ذهاب بالقبض و اليمين الى جهتين حقيقة و مجاز.

و قد اعترض الامام فخر الدين على ذلك بانها تفتح باب تاويلات الباطنية فلهم ان يقولوا المراد من قوله ﴿فاخلع نعليك﴾[415] الاستغراق في الخدمة من غير الذهاب الى نعل و خلعه و كذا نظائره.

و هذا مردود لان الكناية انما يصار اليها عند عدم اجراء اللفظ على ظاهر كما سبق من الامثلة بخلاف خلع النعلين و نحوه.
وكان لتعدد علاقات المجاز المرسل أثر في كثرة وروده في الآيات ألمتحدثه عن القرآن ، وتتجلى في هذا المجاز خاصية الإيجاز حينما تكون علاقته لاعتبار ما سيكون ، ومن الخصائص البيانية لأسلوب المجاز المرسل تهويل وتعظيم لمن يعرض عن القرآن ، وقد بدت هذه الخصيصة جلية في العلاقة الكلية للمجاز المرسل .

ومن يتأمل الاستعارات التي وجدت في الآيات المتحدثة عن القرآن يجد أنها مشتملة على كثير من الخصائص البيانية التي تفردت بها من هذه الخصائص الإيضاح ، فالاستعارة تستخدم كثيراً من الألفاظ الموضوعة في أصل اللغة للدلالة على الأمور الحسية بمعانٍ محسوسة ملموسة مأنوسة لدى النفس البشرية تألفها ، وتراها ، فقد استعيرت الظلمات للكفر ، والنور للإيمان ، وكذا الصراط للإسلام ، وحتى يقف الناس جميعاً على هذه المعاني ويدركوها جيداً لا بد أن تكون هذه المعاني واضحة جلية بينة ، ومن خصائص الاستعارة التي وردت في الآيات المتحدثة عن القرآن هي الدقة في اختيار الألفاظ ، فعند تأمل هاتين اللفظتين (الظلمات والنور) اللتين وردت الاستعارة فيهما نجد أن في كل واحدة منهما من المعاني والدلالات ما تتقاصر عنه جميع الألفاظ لأداء هذا المعنى والقيام به .

وعند تأمل الكنايات التي وردت في الآيات المتحدثة عن القرآن نجد أنها اشتملت على كثير من المزايا التي تتحقق الغاية منها ، ومن هذه الخصائص والمزايا ، تجسيد المعاني وإبرازها في صورة محسوسة تزخر بالحركة والحياة ، فحينما كذلك نجد خاصية الإيجاز وقوة التأكيد والمبالغة في إثبات المعنى المراد بيانه وتقريره ، ومن هنا كانت الكناية بهذه الخصائص البيانية أبلغ من التصريح في مقاماتها ، وأقوى من حيث إثبات هذه الحقائق وتأكيدها .

---

[413] طه 5

[414] الزمر 67

[415] طه 12

الخاتمـــــة :

تعددت أنواع وأشكال الاعجاز البياني في القرآن الكريم فقد احتوى على عدة ألفاظ تحمل تشبيهات واستعارات وايجاز واطناب وسجع وتصوير وتشخيص وتجسيم وتخييل وتناسق غيره الكثير من ألوان الجمال والابداع في القرآن الكريم التي توضح لنا المعاني بصورة أجمل وأوضح وتبين لنا قدرة الخالق عز وجل ليجعل كل من يقرأ القرآن يتلذذ بسماع كلماته المنظمة المرتبة المتناسقة وتكون سبيل لحبه للاسلام والرغبة في التقرب لله عز وجل ...

و بعد هذه الجولة المفعمة بالاهتمامات البلاغية الدقيقة في القرآن الكريم ، ومن خلال هذه المسيرة المثيرة للاستنتاج والتطلع البياني المتطور ، يمكن أن نشير بإيجاز كبير الى أهم ما توصلنا إليه من نتائج:

أولا:ريادة اللغويين والباحثين الاوائل والأواخر في التعمق و الغوص في مسالة الإعجاز القرآني على غرار شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728هـ) في كتابه: "جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن".يحيى بن حمزة العلوي صاحب كتاب: "الطراز" (ت 749هـ).الزركشى (سنة 794هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن),عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى (ت سنة 471هـ)

أيضا في (الرسالة الشافية في إعجاز القرآن),مصطفي صادق الرافعى (ت سنة 1356 هـ)في(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية).

وجملنا أهم تعاريف المصطلحات لغة و اصطلاحا:وجوه ،الإعجاز،القرآن، اللغة.

و بالوصف ابرزنا أغلب وجوه الإعجاز القرآني تمثلت في واحد و عشرين وجه.

ثانيا: رصدنا مجاز القرآن بإطاره البلاغي العام فكان دالا على جميع الصور البيانية في البلاغة تارة ، أو على المعنى المقابل للحقيقة تارة أخرى ، سواء أكان مجازا أو استعارة أو تشبيها فأقمنا عند خصائصه الفنية التي عُدت بمثابة نقلة حضارية وإنسانية الى مناخ أوسع شمولا ، وأبلغ تعبيرا ، إذ تشيع هذه النقلة في النص القرآني : الحياة في الجماد ، والبهجة في الأحياء ، وتضيف الحسّ الى الكائنات ، فيصورها القرآن جميعا : ناطقة تتكلم ، ورائدة تتصرف ، فضلا عن سلامة الألفاظ في المؤدى ، وصيانة الذات القدسية عن الجوارح ، وتعاليه عن الحركة والانتقال. و هذه الخصائص وليدة اقتران الغرض الفني في القرآن بالغرض الديني، فكان فصلا متميزا يستند الى الكشف المضني ، والاستقراء الدقيق ، والملاحظة السليمة النافذة

كان هذا إيذانا بجملة من نتائج البحث ، الذي وقفنا عنده طويلا ، ولم ننحرف في منهجية عن صلب موضوعه ، نسأل الله تعالى أن يتقبله منا بأحسن قبوله ، وأن ينفع به الباحثين والدارسين ، وأن يجعله ذخيرة لنا يوم الدين.

مراجع البحث حسب الترتيب الأبجدي

القرآن الكريم

أ

* أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة ، د.محمد يوسف الشربجي .

* إعجاز القرآن : أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف بالقاهرة ، 1954م .

* إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، حققه محمد سعيد العريان ط3 ، 1945 ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

* الإعجاز البياني للقرآن الكريم– د. عائشة عبد الرحمن– دار المعارف مصر ط: ثانية 1987 م.

*الإعجاز القرآني، وجوهه وأسراره : د . عبد الغني محمد سعد بركة ، ط1، 1989م، مكتبة وهبة بالقاهرة .

* الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث بالقاهرة ، ط 3 ، 1985م .

* –الإعجاز البلاغي: د. محمد محمد أبو موسى، ط2، 1977م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

* الأمثال في القرآن الكريم تأليف ابن قيم الجوزية دار المعرفة بيروت تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب الطبعة الرابعة 1421 هـ– 2000 م

* الأمثال من الكتاب والسنة تأليف أبي عبد الله محمد بن علي ابن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي المتوفى سنة 320 هـ .

* أثر القرآن الكريم في اللغة , محمد عبد الواحد حجازي , سلسلة البحوث الإسلامية 43 , 1971

أزهار الرياض فى اخبار القاضى عياض.

أحمد بن محمد المقري، 992؟–1041 هـ.

* أحكام القرآن : إبن العربي

* الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم , د/ محمد محمد داود , أستاذ الدراسات اللغوية والإسلامية بكلية التربية جامعة قناة السويس

* إعراب القرآن : السيوطي

* الإعجاز القرآني وجوهه و أسراره د . عبد الغني محمد سعد . ط مكتبة الوهبة 1989 م

* أعلام النثر في العصر الحديث , الجامعة الإسلامية , المدينة المنورة

* أسرار البيان في التعبير القرآني د فاضل صالح السامرائى

* أسرار العربية : عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيدالله بن أبي سعيد

الناشر : دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ، 1995

- الأمثال من الكتاب والسنة :أبي عبد الله محمد بن علي ابن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي المتوفى سنة 320 هـ,
- الايضاح في علوم البلاغة المؤلف: زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود
- مراجع غير اسلامية (انجيل يوحنا)

ب

*البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر 1957م .

* بيان إعجاز القرآن الكريم : لأبي سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ت388هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تحقيق محمد خلف الله أحمد ، وزميله ، ط3، دار المعارف ، بالقاهرة .

*البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار – عمان ، الأردن .

* بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار–د. عبد الفتاح لاشين–دار الفكر العربي 1987م.

* البرهان في علوم القرآن–بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي– دار الكتب العلمية بيروت ط:أولى 1408هـ.

* بحوث في الثقافة الإسلامية، تأليف عدد من أساتذة جامعة قطر، ص 275

* بحوث في قصص القرآن السيد عبد الحافظ عبد ربه، ط: دار الكتاب اللبناني– بيروت، 1972م

* البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونه عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ا، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 1، 1416هـ /))

* بلاغة القرآن الكريم محمد الخضر حسين، ط:الدار الحسينية للكتاب، 1417هـ–1997م

* البلاغة العربية وليد قصاب

* البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم

* بحوث في قصص القرآن، للسيد عبد الحافظ عبد ربه، ط: دار الكتاب اللبناني– بيروت، 1972م

* البرهان في علوم القرآن، للإمامُ الزركشيُّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: عيسى البابي الحلبي, الثانية

* البرهان في وجوه البيان : أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب

* بلاغة القرآن الكريم، للعلامة محمد الخضر حسين، ط:الدار الحسينية للكتاب، 1417هـ–1997م

* البيان في إعجاز القرآن : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

ت

* التحرير والتنوير– الشيخ محمد الطاهر بن عاشور–دار سحنون تونس دون تاريخ.

* تفسير القرآن العظيم– الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير–دار المعرفة بيروت 1403هـ

* التربيـة بضـرب الأمثـال تـأليف عبـدالرحمن النـحلاوي دار الفكـر دمشـق دار الفكـر المعاصـر بيـروت الطبعة الأولى 1419 هـ 1998م
* تاريخ الأدب العربي نوري حمودي القيسي
* تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان
* تاريخ آداب العرب مصطفي صادق الرافعي، (ط2، دار الكتاب العربي، بيروت: 1974م)
* تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : المباركفوري

ث

* ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:للرماني، والخطابي، والجرجاني- تحقيق محمد خلف الله أحمد، ود .محمد زغلول سلام-سلسلة ذخائر العرب- دار المعارف مصر ط: رابعة 1991

ج

* الجامع لأحكام القرآن -أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي- الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: ثانية 1987.
* الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت 1993م
* الجاحظ : دائرة معارف عصره / فوزى عطوى.
الناشر بيروت : دار الفكر العربى، 1989.

د

* دلائل الاعجاز فى علم المعانى / تأليف عبدالقاهر الجرجانى; صحح اصله محمد عبده, محمد محمود التركزى الشنقيطى; وقف على تصحيح طبعه و علق حواشيه محمد رشيد رضا. الناشر بيروت : دار الكتب العلمية، 1988.
* دلائل النظام الفراهي - ط2، الدائرة الحميدية الهندية: 1991م.
* الدعوة إلى الله تعالى، د.عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط: دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، 1410هـ-1990م

ر

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لأبي الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي (ت 1270هـ) ، بيروت ، 1978م.
رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاح ، د.شعبان محمد اسماعيل،الثقافة،الدوحة . قطر،الطبعة الأولى1992 .

س

* سر الفصاحة : لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي

(ت466هـ) ،تصحيح وتعليق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، 1953م .

* السيرة النبوية : لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري

(ت218هـ) – حققها وضبطها مصطفى السقا وزملاؤه .الطبعة الأولى – دار الخير بدمشق

* السلسلة الصحيحة : الألباني

* سيد قطب من القرية الى المشنقة " تحقيق وثائقي تأليف :عادل حمودة

ش

* الشفا : القاضي عياض

شرح الجلال على العقائد العضدية : جلال الدين الدواني , القاهرة : المطبعة العامرة، [1899]

* الشعر الجاهلي فؤاد افراد البستاني .. سلسلة الروائع

ص

* الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها

د. سامي عطا حسن جامعة آل البيت

ع

- (العربية لغة عالمية : نشر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة 1966)

* علم المعانى، البيان، البديع / عبدالعزيز عتيق. الناشر بيروت : دار النهضة العربية

نقلا عن عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم , د . محمد السيد راضي جبريل

ف

* فكرة إعجاز القرآن : نعيم الحمصي ، ط2،1980م ، مؤسسة الرسالة – بيروت .

* فكرة النظم في تطورها وأهدافها : د. بسيوني عرفة ، ط 1، دار الرسالة بالقاهرة ، 1982م.

* الفهرست : لابن النديم ، محمد بن اسحق (ت 383هـ) ، ط بيروت 1964م .

* * الفصاحه :[مفهومها و بما تتحقق قيمتها الجماليه / توفيق على الفيل. الناشر الكويت: تصدر عن كليه الآداب جامعه الكويت، 1996.

* * الفصحى في مواجهة التحديات : نذير محمد مكتبي

* الفوائد المشوق إلى علوم القرآن : ابن القيم الجوزية

ق

- قضية الإعجاز بين المتقدمين والمتأخرين : د. عبد الفتاح محمد سلامة ، دار التوفيقية

القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، لعبد الكريم الخطيب، ط: السنة المحمدية– القاهرة، 1384هـ– 1964م

ك

* كيف تبدع القصيدة : عبد اللطيف الوحيد

* كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم د.محمد محمد داود

ل

* لايأتون بمثله محمد قطب , ط دار الشروق

* لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت 711هـ) ، الطبعة الثالثة ، 1999م، عني بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب وزميله ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان .

* اللغة العربية التحديات والمواجهة : سالم مبارك الفلق

م

*- مباحث في إعجاز القرآن : د. مصطفى مسلم ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط2، 1996م .

* مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية

الدكتور محمد حسين علي الصغير أُستاذ الدّراسات القرآنية في جامعة الكوفة

*- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

* مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري-د.أحمد جمال العمري- دار المعارف مصر 1984م.

* الملل والنحل – أبو الفتح محمد بن عبدالله الشهرستاني- دار صعب بيروت 1986م.

* المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى 1418 هـ 1998م

* من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم _ دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي _ د . السيد خضر . ط دار الوفاء 2001

* المعجم الوجيز , مجمع اللغة العربية , طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم , 1994 م

* مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية

الدكتور محمد حسين علي الصغير أُستاذ الدّراسات القرآنية في جامعة الكوفة

* المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى / تاليف احمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ؛ تحقيق عبد العظيم الشناوى.

الناشر القاهرة : دار المعارف، [1994].

* مجموع فتاوي شيخ الإسلام : إبن تيمية

* مجلة الدعوة في العدد (1497) بتاريخ 1 / 2 / 1416
* من بلاغة القرآن : أحمد أحمد بدوي
دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة
* مصطفى صادق الرافعى : رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية / مصصطفى الجوزو.
الناشر بيروت : دار الاندلس، 1985.
* مناهل العرفان في علوم القرآن عبد الرحيم الزرقاني
بعض مواقع الشبكة العنكبوتية

- موقع الإعجاز العلمي
- موقع الأستاذ الكحيل
- موقع الإسلام سؤال وجواب
- موقع الشبكة الإسلامية
- موقع المجلس الأعلي للشؤن الإسلامية جمهورية مصر

ع
*- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز : أ.د محمد السيد راضى جبريل
* عبد القاهر الجرجانى : بلاغته و نقده أحمد مطلوب.
الناشر الكويت ؛ بيروت : وكالة المطبوعات، 1973.
ن
* النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): علي بن عيسى الرماني (ت386هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، تحقيق د. محمد خلف الله أحمد وزميله 63 1928م.
د
* دلائل الإعجاز- الإمام عبد القاهر الجرجاني-دار المدني جدة ط: ثالثة 1992م.
ر
32* روح المعاني-شهاب الدين الألوسي البغدادي-دار التراث العربي بيروت ط: ثانية دون تاريخ .
ش
* الشفا بتعريف حقوق المصطفي- القاضي عياض بن موسى اليحصبي -مكتبة دار التراث بالقاهرة دون تاريخ.
ص
* صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مع فتح الباري للحافظ أحمد بن العسقلاني- دار المعرفة بيروت دون تاريخ.

* صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، حققه ورقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- دون تاريخ.

ف

* الفصل في الملل والأهواء والنحل- علي بن أحمد بن حزم الظاهري- دار المعرفة بيروت

* في ظلال القرآن- سيد قطب- دار الشروق ط: تاسعة 1400هـ.

* الفرق بين الفرق : البغدادي

* الفوائد الغياثية فى علوم البلاغة / عضد الدين الايجى ؛ دراسة و تحقيق و تعليق عاشق حسين.

الناشر القاهرة : دار الكتاب المصرى ؛ بيروت : دار الكتاب اللبنانى، 1991

ق

* القصص القرآني في منطوقه ومفهومه :عبد الكريم الخطيب، ط: السنة المحمدية- القاهرة، 1384هـ-1964م

ك

* كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم .. د.محمد محمد داود

* النهاية فى الكناية, المعروف بالكناية و التعريض / أبى منصور اسماعيل الثعالبى ؛ تحقيق فرج الحوار .

الناشر سوسة : دار المعارف، [1995]